كتب وجودية



چان بول سارتر

ترجمة طارق فودة

الجحيم

مسرحية فى فصل واحد

كتبها

چان پول سارتر

ترجمها : طارق فوديه

الناشر : دار الثقافة

« أنت حر ، بمعنى أنك مسئول عن تصرفاتك
نحو نفسك وتجاه الآخرين هــــــــذه هى
الوجودية . . »

طارق فوده

مقدمة

الجحيم كما يتصوره سارتر هو موضوع هذه المسرحية . . ومنذ القدم تعودنا أن نجد خلاصة آراء الفلاسفة فى تعبيراتهم عن الجنة والنار . . والحساب والعقاب . . إلى غير ذلك ، ومن أجل هذا ، فإننا لا شك نتوقع أن نرى فى هذه المسرحية ذات الفصل الواحد خلاصة آراء سارتر بدوره ، وخلاصة فلسفته الإنسانية ، كما يسميها هو فيما يتعلق بالآخرة ، والحساب ، وطريقة التعذيب كما يسوقها هو بنفسه على ألسنة شخصياته الواقعية جداً التى سنلتقى بها . .

والذى لا شك فيه ، أنه سارتر قد أثبت هنا فى هذه المسرحية مجموعة من الآراء التى تدل أولا على إيمان عميق بالآخرة . . وعلى أن الأرواح ستبعث فى النهاية ، و بغاية السرعة ، وأنها ستحاسب . . لن يدرك الإنسان متى يحاسب ، ولكنه سيجد نفسه بالفعل وقد تقرر مصيره ، وهو . . وإن كان يتغافل بينه و بين الناس عن السبب مثلا فى أنه قد اقتيد إلى جهنم ، إلا أنه إذا استبطن نفسه ، وفكر بعض الشىء فى حقيقة الأدوار التى لعبها فى حياته ، فإنه سيستطيع أن يصل بلا شك

إلى الأسباب الجوهرية التى من أجلها وضع فى هذا المكان ، ولقى هذا المصير . .

والمسألة الثانية فى مسرحية سارتر : هى تصوره للطريقة التى يتم العذاب بها . . الجحيم . . بلا لهيب ، ولا ألسنة نار ، ولا شوك مدببة ولا أى شىء ، وإنما عيون الآخرين . . والأفكار التى تقتل .

وشىء ثالث ، وهو أن الوقت فى الآخرة يمر بسرعة جداً ، ولكنه لا نهائى . . وأن الملل حتما سيتطرق إلى النفوس ، من تكرار الموقف وكثرة أدائه ، وهذا نوع من العذاب الناس ، ولكنه يجبن الإنسان عنده ، فيفضله على عذاب النار .

ونقطة رابعة ، أن سارتر ، الإنسان ، قد رأيناه يذهبه بأناس أذنبوا فى الدنيا فعلا ، ذنوباً خلقية . . أو قاموا بأفعال غير مهذبة ، ومن أجل ذلك كانت النار مآلهم . .

وقد رأى سارتر أن الإنسان فى الآخرة سيستطيع أن يتتبع كل ما يتعلق به فى الدنيا ، وأن هـذا سيسبب له الكثير من الآلام والمضايقات . . وأنه سيتمنى لو استطاع أن ينزل إلى الأرض مرة واحدة ، حتى يستطيع أن يثبت وجوده بينهم ولو للحظة واحدة . . ، ولكن ، بلا جدوى ! . .

ومن أطرف الأمور التى ساقها سارتر فى مسرحيته أن المرأة ، حتى وهى فى جهنم لن تتخلص من كونها إمرأة ، لها أنوثتها التى تحب أن تحافظ عليها رغم زوال كل ما يربطها بالحياة المادية . .

وأن الناس ، لا يستطيعون التخلص مما يمكن أن نطلق عليه « خصائص الإنسانية » رغم انقطاع صلتهم بهذه الخصائص الإنسانية تماماً . .

وأن الغيرة والحقد والحسد وكل الصفات الدنيوية الرخيصة لابد أن تكون من بعض أسلحة الجحيم الفتاكة وأن الراحة فى جهنم . . شىء بعيد المنال ! . .

وخلاصة المسرحية أنك تحس فعلا . وأن سارتر قد وضع أناساً يتعذبون . . ولكن بالشكل الذى يراه هو . . ولا يستطيع واحد أن يقر إذا ما كانت هذه الحقيقة أم لا . . وإنما نحن نستطيع فقط أن نقرر أن سارتر ، الفليسوف الإنسان ، قد أستطاع أن يصل إلى أعماق النفس البشرية . . فحلل خطاياها ، أوالكثيرمن هذه الخطايا، وعذبها أو من أجل ذلك قال إنها تستحق العذاب . . وهذا إعتراف إيمانى لا بأس به منه جان بول سارتر . . زعيم الفلسفة الوجودية المعاصرة !!

طارق فوده

المشتركون فى هذا الكتاب

جان بول سارتر

زعيم الفلاسفة الوجوديين المعاصرين . . ولد فى باريس فى ٥ يونيو سنة ١٩٠٥ . . تلقى علومه فى باريس ثم فى مدينة لا روشيل ثم فى باريس مرة أخرى . . حصل على إجازة فى التخصص فى تدريس الفلسفة سنة ١٩٣٠ .

عمل بالتدريس فى مدينة الهافر ، ثم فى المعهد الفرنسى ببرلين ، ثم فى ليسيه هنرى الرابع بباريس . .

جند فى الجيش الفرنسى عند نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ووقع فى أسر الألمان سنة ١٩٤٠ ، وعاد من ألمانيا بعد تسعة أشهر قضاها فى الأسر . . ثم انضم إلى منظمات المقاومة . . وكان لهذه المنظمات والأعمال التى قام بها خلال وجوده بها أكبر الأثر فى أعماله الفكرية والأدبية . .

بدأ حياته الأدبية بتأليف بعض الكتب الفلسفية ، ثم كتب عدداً من الروايات والقصص والمسرحيات .

ظل يشتغل بتدريس الفلسفة حتى عام ١٩٤٢ ، ثم قدم استقالته ليتفرغ للأدب ومجلته « العصور الحديثه » .

مذهبه إنسانى . . فقد ثار على الإستعمار الغربى لما رآه من صور الشعوب التى تعانى تحت نير هذا الإستعمار . . واتجه إلى الحزب الشيوعى الفرنسى . . وعندما صدم بما رآه من وحشية الشيوعية فى المجر خرج على هذا الحزب . . وبدأ يعمل بعقلية وتفكير مستقلين . . وهاجم الحكومة لإصرارها على استمرار الإستعمار فى الجزائر . . كما هاجم ديجول وحكومته وجمهوريته . وأصدر ديجول الأمر بوقف مجلته «العصور الحديثه» .. ولكنه لم يتوقف عن النضال ، وعن تزعم الأدباء الفرنسيين الأحرار . . بل تعدى ذلك إلى دفع شباب فرنسا المثقف إلى عدم الإنخراط فى سلك الجيش من أجل الخدمة الإجبارية !.

طارق فوده :

٢٨ سنة . . عضو نقابة الصحفيين ، يعمل محرراً بمؤسسة أخبار اليوم . . قام بترجمة مجموعة من الكتب فى الفلسفة والتربية من بينها «التعليم ومغزى الحياة» .. للفيلسوف الهندى . ج . كريشنامورتى ،

و«حقائق الحياة للأطفال»، و«شاى وحنان» ، و«على مائدة المعرفة» ..
يرى أن الوجودية فكرة فلسفية يمكن أن تحدد الفارق بين
الحرية والمسئولية ! .

حسن أجق .

مصمم الغلاف .. عضو نقابة الصحفيين ، وسكرتير تحرير
مجلة « الجيل » . .

الجحيم

مسرحية فى فصل واحد

كتبها

چان پول سارتر

ترجمها : طاروح فوده

أشخاص الرواية

التشريفاتى	Valet
جارسان	Garcin
إستل	Estelle
أينز	Inez

المنظر

قاعة استقبال على طراز الامبراطوية الثانية ، مدفأة أوروبية ، عليها رف فوقه بعض التماثيل البرونزية الصغيرة !

جارسان — (يدخل ومعه التشريفاتى ويدور بنظره فيما حوله ثم ..)
— أخيراً وصلنا . . .

التشريفاتى — فعلا يامستر جارسان .

جارسان — أهكذا تبدو ؟ . .

التشريفاتى — نعم . .

جارسان — وَىْ ، إن الأثاث على طراز الأمبراطورية الثانية .
حسنا ، أستطيع أن أقول إننا سنعتاده على مرور الزمن .

التشريفاتى — بعضهم يقدر والبعض لا يستطيع . . .

جارسان — هل كل الحجرات الأخرى مثل هذه ؟ . .

التشريفاتى — لا بالطبع ، فنحن نجمع بين كل الأشكال . فالصينيون مثلا أو الهنود ، ما الذى يجنونه من كرسى على طراز الامبراطورية الثانية ؟

جارسان — وما الفائدة التى تتوقع أن أجنيها أنا منه ؟ . هل تعرف من كنت أنا ؟ آه ، إنها ليست مسألة هامة ولكننى فى الواقع تعودت منذ زمن طويل أن أعيش وسط أثاث لا يروقنى ، وفى أوضاع زائفة . لكننى كنت أتعودها دائماً . . . وضع زائف فى حجرة طعام

على طراز لويس فيليب . . هل تعرف هذا الطراز ؟ ـ
حسنا، إن له ميزاته كما تعلم ، كل كلامهم فارغ . .

التشريفاتى — وستجـــــد كذلك أن الحياة فى حجرة على طراز
الأمبراطورية الثانية لها ميزاتها . .

جارسان — نعم ، نعم ، أقول . . (ينظر ثانية فيما حوله)
ما زلت أؤكد أننى لم أتوقع هذا ؟ أتعلم ما ذا قالوا
لنا هناك . .

التشريفاتى — عن أى شىء ؟

جارسان — عن . . (ينظر نظرة شاردة) « عن هذا ، الـ... منزل.

التشريفاتى — كيف يمكنك ياسيدى أن تصدق مثل هذه القصص
الخرافية التى يرويها أناس لم تطأ أقدامهم هذا المكان
لأنهم بالطبع لو . . .

جارسان — هو كذلك فعلا (يضحكان ولكن سرعان ما تختفى
الابتسامة من وجه جارسان) ولكن . . أين أدوات
التعذيب ؟

التشريفاتى — ماذا ؟

جارسان — الشوك المـــــدببة ، والمسلات المحمية المتوهجة ،
وماء النار ؟ . .

التشريفاتى — أوه . . هذه إحدى نكاتك يا سيدى !

جارسان — نكاتى ؟ . . آه ، فهمت ، لا . لم أكن أضحك .

(فترة صمت قصيرة ، ويتجول جارسان فى الحجرة)

لا نوافذ ولا مرايا ، ولا أى شىء قابل للكسر ، لم أكن أتوقع هذا (بغضب) يا للحماقة ، كان عليهم أن يتركوا حتى فرشاة للأسنان .

التشريفاتى — حسنا ، إذاً فأنت لم تتغلب بعد على ما يسمونه شعور الإنسان عندك . اعذرنى إذا ابتسمت .

جارسان — (يعبث بأصابعه على ذراع الكرسى) يجب أن تكون أكثر تأدباً ، فقد بدأت أدرك موقفى ، ولن أسمح --

التشريفاتى — معذرة يا سيدى ، لم أقصد شيئاً ، ولكن كل ضيوفنا يسألوننى نفس الأسئلة ،أسئلة تافهة . إذا سمحت لى بهذا التعبير . . أين حجرة التعذيب؟ هذا هوأول مايسألنى عنه الجميع ، وأؤكد أنهم لا يتعبون أذهانهم قط فى السؤال عن مستلزمات الحمام ، ولكن بعد برهة ، عندما يستعيدون هدوءهم يبادرون بالسؤال عن فرشاة أسنانهم وما إلى ذلك . ألا يمكنك يا مستر جارسان أن تستعمل

عقلك . . ولـكن دعنى أسألك . . ما أهمية تنظيف أسنانك ؟

جارسان — (أكثر هـدوءاً) فعـلا ، إنك على صواب (يلتفت مرة أخرى) ثم ، لماذا يرغب الانسان فى أن يرى نفسه فى مرآة ؟ ولـكن هذه التماثيل البرونزية على رف المدفأة ، هذه قصة أخرى ، وأعتقـد أن الفرصة ستحين لألقى عليها نظرة . . ألقى عليها نظرة ، أتفهم ما أعنيه ؟ . . جسناً دعنـا نلعب الورق : وأؤكد أننى أدرك موقفى تماماً ، فهل تحب أن أخبرك بحقيقة شعورى ؟ . . إننى كالغريق ، كالمصدوم ، كمن يغـرق فى شبر ماء ، لا تظهر منه إلا عيناه ، وماذا عساه يرى بهما ، لا شىء سوى بضعة تماثيل من البرونز نقش عليها اسم جامعها .. أهذه سيا تـكم التى رسمتموها ، لا مرايا ، ولا فرشاة أسنان ولا حتى فراش .. . ولـكن لماذا أوجه إليك أنت هذا الـكلام ؟ ما أنت إلا موظف ليس له أن يجيب على كل هذه الأسئلة (يمشى بخطى واسعة عبر الحجرة من جـديد ، وهو يخبط الأرض بقدميه) .. ماذا عليك أنت ؟ . . بعد أن أخذوا خادمى . . لا شىء ؟ ..

التشريفاتى — تماماً .

جارسان — تماماً كما توقعت ، لماذا ننام ، إن هو نوع الأمن المحول أو الجمود يتسرب إليك فيدق رأسك خلف أذنيك ، وتشعر بجفنيك ينطبقان ، ولكن لماذا تنام ؟ إنك إذا استرخيت على أحد هذه الكراسى ، فسرعان مايذهب النوم بعيداً . . بعيداً . . وعندئذ تفرك عينيك ، وتقوم لتستأنف نشاطك من جديد . .

التشريفاتى — أنت إنسان خيالى . .

جارسان — اسكت من فضلك .. فلن أعير هذه الأشياء أى اهتمام ولن أشعر بالأسى أبداً ، بل سأواجه الموقف كما وضحت لك الآن . . سأواجهه بحزم واعتدال ، ولن أترك له الفرصة ليأتينى من الخلف قبل أن أتحين الفرصة لأمسك زمامه . . أفما زلت تزعم أن هذا «خيال » ؟!. .

وها قد وصلنا إلى النتيجة ، الإنسان ليس فى حاجة إلى الراحة ؟ . . لماذا إذن نقلق أنفسنا بشأن النوم مادمنا لن ننام ، هذا يستند إلى حقائق ، أليس كذلك انتظر لحظة ، هناك حلقة مفقودة . . شىء غير مستساغ

. آه ، فهمت . . إنها الحياة بلا راحة . .

التشريفاتى — ماذا تقصد بذلك ؟ . .

جارسان — ماذا أقصد ؟ . . (نظرة كلها شك وريبة) لقد فكرت جدياً، وهذه هى علة وجود نوع من الوحشية والسفالة فى نظراتك التى تصوبها إلىّ . .

التشريفاتى — ما الذى تتكلم عنه ؟ . .

جارسان — جفونك ؟ ! . . إننا عادة نحرك جفوننا إلى أعلى وإلى أسفل ونسمى ذلك «رمشاً»، وفى كل «رمشة» من هذه يكون الجفن كالباب الأسود الصغير الذى يقفل على العين لتنال قسطاً صغيراً من الراحة ، ثم لينفدى الجفن و فتح من جديد . . إننا نفعل ذلك آلافاً من المرات فى الساعة الواحدة ، بذلك تتمتع العين بآلاف من لحظات الراحة القصيرة . . أربعة آلاف وقفة . . فكر فقط ! . . هذه هى الفكرة . . إننى لكى أعيش بلا جفون ، و بالتالى ، بلا نوم . . أليس كذلك ؟ . إننى لن أنام ثانية ، ولكن كيف إذن سأطيق صحبة نفسى ؟ . . حاول أن تفهم أنت ، أنت تعلم أننى أحب الإغاظة ، إنها لازمة من لوازمى ، حتى إذا اضطررت

الى إغاظة نفسى ، إذا كنت وحيداً ، ولن يكون ذلك
شيئاً جميلا . . ولكننى لا أستطيع أن أفعل ذلك إلا
إذا كسرت، وهناك أسفل، كنت أقضى أمسياتى ، تحت . .
كنت دائماً أقضى ليالى جميلة على سبيل التعويض كما
أعتقد ، وأحلاماً خاطفة ، كان هناك حقل أخضر ، مجرد
حقل عادى ، وقد اعتدت أن أتجول فيه . . هل طلع
النهار الآن ؟ .

التشريفاتى — ألا ترى ؟ إن النور مضاء ..

جارسان — أوه ، نعم ، تذكرت ، إن هذا النور هو نهاركم ،
ولكن فى الخارج ؟

التشريفاتى — الخارج ؟ . .

جارسان — فى نهاية الممر ؟

التشريفاتى — هناك ممرات أكثر ، ثم ممرات أخرى ، ثم سلالم . .

جارسان — وماذا يوجد ، بعد هذا كله ؟

التشريفاتى — هذا كل شىء ..

جارسان — ولكن مما لا شك فيه أن لديكم أيام راحة ، أين تقضيها ؟

التشريفاتى — فى المكان الذى فيه عمى ، إنه رئيس التشريفاتية
هنا ، و لديه حجرة فى الطابق الثالث .

جارسان — كان يجب أن أخمن ؟ . . أين مفتاح النور ؟

التشريفاتى — لا يوجد مفتاح .

جارسان — ماذا ، ألا يمكننى إطفاء النور ؟

التشريفاتى — أوه ، الإدارة يمكنها أن تقطع التيار ، إذا أرادوا ، ولكن ، لا أذكر أنهم فعلوا ذلك فى هذا الطابق ، إن لدينا كل الكهرباء التى نطلبها .

جارسان — إذا ، فعلى الإنسان أن يعيش بعينيه مفتوحتين طوال الوقت ؟

التشريفاتى — أن يعيش .. أقلت ؛ أن يعيش ؟ ..

جارسان — لا تراوغ فى الكلام ، فعينا الواحد مفتوحتان ، إلى الأبد .. نور النهار العريض فى عينى دائماً .. وفى رأسى . (صمت قصير) ولنفرض أننى أخذت هذه التحفة التى على المدفأة وقذفت بها المصباح ، ألن ينطفىء النور ؟

التشريفاتى — إنك لا تستطيع تحريكها ، إنها ثقيلة جداً .

جارسان — (يقبض على التحفة البرونزية و يحاول رفعها) أنت على حق ، إنها ثقيلة جداً (يتبع ذلك صمت كثير)

التشريفاتى — حسناً ياسيدى ، إذا لم تكن فى حاجة إلى فإنى سأنصرف .

جارسان — ماذا ؟ أستذهب ؟ (التشريفاتى يذهب إلى الباب).
إنتظر (ينظر التشريفاتى إلى الخلف) هذا جرس أليس
كذلك؟ (التشريفاتى يومىء بالايجاب) وإذا ضغطت عليه
هل ستحضر ؟

التشريفاتى — نعم ، أحياناً ، ولكن لا يمكنك أن تتأكد من
الجرس ، إن حلقته الكهربية معطلة ولا تعمل دائماً
(جارسان يذهب إلى الجرس ، ويضغط على الزر ،
ويسمع رنينه فى الخارج).

جارسان — إنه يعمل جيداً . .

التشريفاتى — (بعجب) إنه كذلك ، (ثم يضغط هو على الزر)،
ولكننى لو كنت مكانك لما اعتمدت عليه. إنه بحالات
مختلفة ، حسناً ، يجب أن أنصرف الآن . (جارسان
يوقفه بإشارة منه).

جارسان — لا . . لاتهتم (يذهب إلى رف المدفأة ويلتقط سكينة)
وما هذه ؟

التشريفاتى — ألا ترى ؟ سكينة ورق عادية !

جارسان — هل توجد كتب هنا ؟

التشريفاتى — لا .

جارسان — إذا ، فما فائدتها ؟ (التشريفاتى يهز كتفيه) حسناً جداً ، تستطيع أن تذهب (ويخرج التشريفاتى) .

(جارسان وحده ، يذهب إلى التمثال البرونزى ويضرب به ضربات متتابعة ، ويجلس.. ثم يقوم ويذهب إلى الجرس ، ويضغط على الزر ، ولكن بلا رنين ، يحاول مرتين أو ثلاث مرات دون أى نتيجة ، وعندئذ يحاول فتح الباب ، ولكنه يفشل فى ذلك أيضاً . . ينادى التشريفاتى عدة مرات . فلا يجيبه أحد ، ثم يضرب الباب بكلتا يديه وينادى . . .

ثم يهدأ مرة واحدة ، ويجلس ثانية ، وفى نفس اللحظة يفتح الباب ، وتدخل أينز يتبعها التشريفاتى)

التشريفاتى — هل ناديتنى ياسيدى ؟

جارسان — (إجابة عن سؤاله « نعم » ، ولكن عندما تقع عيناه على أينز) لا . .

التشريفاتى — (ملتفتاً إلى أينز) هذه هى حجرتك يا سيدتى (أينز لاتعلق) إذا كان ثمة شىء تستفسرين عنه ... ؟ (أينز لا تزال صامتة ، وينظر التشريفاتى بشىء من الغيظ ، إن معظم ضيوفنا لديهم الكثير مما يسألوننى إياه ،

ولكننى لا ألح على كل حال ، إذا كان بشأن فرشة الأسنان ، والجرس الكهربى ، وهذا الشىء الذى على رف المدفأة ، فهذا السيد يستطيع أن يخبرك بكل ما تريدينه ، كما أستطيع أنا تماماً ، فقد تحدثنا قليلا أنا وهو . . . (يخرج التشريفاتى ، يكف جارسان عن نظره الى أينز التى تبدو وكأنها كانت تتوقع مثل هذه الحجرة ثم تلتفت فجاة إلى جارسان)

أينز — أين فلورانس ؟ . . (جارسان لا يرد) ، ألم تسمع ؟ لقد سألتك عن فلورانس ، أين هى ؟ . .

جارسان — ليست لدى أية فكرة .

أينز — آه ، هذه طريقة العمل إذاً ؟ التعذيب بوساطة التفريق حسناً ، لا يهمنى ، لقد كانت فلورانس متعبة وغبية بعض الشىء وإننى على الأقل ، لن أستوحش لها .

جارسان — أرجو المعذرة ، من تظنيننى ؟

أينز — من ؟ . . لماذا ؟ . . المعذب بالطبع .

جارسان — (ينظر بفزع ثم ينفجر ضاحكاً) حسناً إنه شىء جميل كلمات مضحكة ، أنا المعذب ! إذاً فقد دخلت ، ثم ألقيت نظرة علىّ وظننت أننى ، آه ، واحد من الهيئة .

لقد كانت غلطة ذلك التشريفاتي التافه بالطبع ؛ كان عليه أن يقدمنا لبعضنا ، معـذب حقيقة ! إننى جوزيف جارسان صحفى وكاتب محترف ، وبما أننا قد وقعنا فى مأزق واحد فإن علينا أن نتكلم ، أيمكن أن أسألك يامسز . . ؟

أينز — (بغضب) لست مسز .. إننى غير متزوجة .

جارسان — صحيح إنها بداية على العموم . حسناً ، والآن بعد هذه البداية ، هل تعتقدين حقاً أننى أشبه المعذبين . . ؟ وعلى فكرة ، كيف يميز الانسان المعذبين عندما يراهم ؟ بالطبع لديك فكرة عن هذا الموضوع .

أينز — يبدو عليهم الخوف

جارسان — الخوف ! كيف بحق السماء ! وممن يجب أن يخافوا ؟ . أمن ضحاياهم ؟ . .

أينز — إضحك كما تشاء ، ولكننى أعلم ماذا أقول لقد نظرت الى وجهى كثيراً فى المرآة .

جارسان — فى المرآة ؟ (ينظر خلفه) يالوحشيتهم ! لقد نقلوا كل شىء يمكن أن يشبه المرآة . (صمت قصير) مهما يكن ، فإننى أؤكد لك أننى لست خائفاً ، ليس لأننى آخذ الأمور ببساطة ، فأنا أدرك الخطورة جيداً ولكننى لست خائفاً

أينز — (تهز كتفيها) هذه مهمتك . (صمت) هل عليك أن تبقى هنا طول الوقت أم إنك تستطيع أن تتجـــول خارجاً الآن ؟

جارسان — الباب مغلق .

أينز — أوه ، هذا قبيح جداً ! !

جارسان — يمـكننى فقط أن أدرك كيف تطيقيننى هنا ، والواقع أننى أيضاً أفضل أن أكون بمفردى ، فأنا ، كما تعلمين أريد أن أفـكر فى أشياء كثيرة ، حتى أدبر حياتى بنظام ويستحسن أن يقوم كل واحد بذلك بمفرده ولـكنى واثق أننا سنتقارب من بعضنا شيئاً ، . . فأنا لست ثرثاراً ، ولا أتحرك كثيراً ، والحقيقة أننى مثال الرفيق الهادىء ــ ولـكن هل أستطيع أن أقترح . . هيه يجب أن نـكون ودودين . فهذا يسهل الموقف على كلينا .

أينز — أنا لست مهذبة .

جارسان — إذاً يجب أن أكون مهذباً عن نفسى وعنك (صمت أطول . جارسان جالس على كرسيّـه فى حين تذرع أينز الحجرة جيئة وذهاباً)

أينز — (مثبتة عينيها عليه) فمك ؟ . .

جارسان — (كأنما قد صحا من حلم) معذرة ! . .

أينز — ألا يمكنك أن تبقى فمك مغلقاً ؟ يجب أن تغلقه طول الوقت . إنه كريه .

جارسان — آسف جداً ، لم أكن أعلم ذلك

أينز — هذا ما أعيّرك به تماماً . . فم جارسان يرتعش) فأنت مع كلامك الكثير عن الأدب لا تحاول أن تضبط حركات وجهك ، تذكر أنك لست وحدك ، وليس من حقك أن تشيع منظر خوفك فى نفسى .

جارسان — (وهو ينهض متجهاً إليها) وماذا عنك أنت؟ألست خائفة .

أينز — وماذا يفيد ؟ . . لقد كان هناك سبب للخوف فيما قبل عندما كان هناك أمل .

جارسان — (بصوت منخفض) لم يعد هناك أمل بعد . ولكنه كان . . لم نعد بعد نقاسى . .

أينز — فعلا (صمت قصير) حسنا ، ما الذى سيحدث ؟ . .

جارسان — لا أعلم .. (صمت مرة اخرى ، جارسان يجلس ، وأينز تواصل مشيها فى الحجرة . فم جارسان يرتعش ، و بعد نظرة سريعة إلى أينز يدفن وجهه بين يديه ، تدخل

إستل مع التشريفاتى ، وتنظر إلى جارسـان الذى
لا يزال يدفن وجهه بين يديه)

استل — (لجارسان) لا ترفع وجهك . . فأنا أعرف ما الذى
تخبئه فى يديك (جارسان يحرك يديه) ماذا ! . (وقفة
قصيرة (ثم فى نغمة الدهشة) ولكنى لا أعرفك .

جارسان — إننى لست المعذب يا سيدتى .

استل — أنا لم أتوقع أن تكون كذلك . بل إننى . لقد اعتقدت
أن شخصاً ما يحـاول أن يلعب علىّ لعبة سخيفة .
(للتشريفاتى) هل سيحضر آخرون ؟

التشريفاتى — لا ، يا سيدتى ، لن يحضر إنساناً آخر .

استل — أوه ، إذاً علينا أن نظل سوياً نحن الثلاثة ، هذا السيد
وهذه السيدة ، وأنا .. (تبدأ فى الضحك)

جارسان — (بغضب) ليس هناك ما يضحك :.

استل — (ما تزال تضحك) إنها هذه المقاعد ، إنها قبيحة جداً
انظر فقط كيف رتبت : إنها تدفعنى إلى التفكير فى
ليلة راس السنة ، عندما اعتدت أن أزور عمتى العجوز
مارى .. إن بيتها ملىء بأشياء مخيفة كهذه : أعتقد
أن كلا منا له كرسيه الخاص ، هل هـذا لى ؟

(للتشريفاتى) ولـكن لا تتوقع منى أن أجلس على هذا المقعد ، إنه مزعج جداً بالنسبة إلى ، فأنا أرتدى أزرق باهت ، والمقعد لونه أخضر ناصع :

أينز — هل تفضلين مقعدى ؟

إستل — اتقصدين هذا المقعد ذا اللون الخمرى ؟ إن هذا جميل منك جـداً ، لـكننى ، فى الحقيقة ، لا أعتقد انه سيكون أحسن كثيراً ، ومهما يـكن ، فلن يفيد القلق شيئا ، علينا أن نتقبل ما نواجهه ، سألتصق يا سيـدتى بالـكرسى الأخضر : (تتوقف) آه ، الـكرسى الوحيد الذى يناسب ما ارتديه بعض الشىء هو مقعد السيد (وقفة ثانية)

أينز — هل سمعت يامستر جارسان ؟

جارسان — (بحركة ضعيفة) أوه ، تقصدين المقعد ؟ . . آسف جداً . (يقف) أرجوك أن تأخذيه ياسيدتى .

استل — شكراً (تتناول معطفها وتضعه على المقعـد ، (صمت قصير) حسناً ، بما أن علينا أن نعيش سوياً ، أظن أنه من المستحسن أن نقدم أنفسنا ، إسمى ريجوليت إستل ريجوليت . (جارسان ينحنى ويستعد لتقديم نفسه ،

ولـكن أينز تتقدم أمامه)

أينز — وأنا أينز سيرانو . سعيدة جداً لمقابلتك . .

جارسان — (ينحنى ثانية) جوزيف جارسان .

التشريفاتى — هل تريدوننى فى أى شىء ؟

استل — لا ، يمكنك أن تذهب ، سأقرع الجرس عندما أريدك (التشريفاتى يخرج مع إنحناءات مهذبة لـكل واحد)..

أينز — إنك لطيفة جـــــداً ، كم أتمنى لو كانت لدىناورود لنكرمك بها . .

استل — ورود آه كم أحب الورود ، ولـكنها كانت ستذبل سريعاً هنا ، أليس كذلك ؟ المـكان مكتوم جداً ، أوه حسناً أفضل ما نفعله أن نظـــل مبتهجين ما أمـكننا ، ألا توافقان ؟ بالطبع ، أنت ، أيضاً . .

أينز — نعم الأسبوع الماضى ، وماذا بالنسبة لك أنت !

استل — أنا . .. حديثة جداً أمس ، والواقع أن الحفل لم يكن قد إنتهى بعد (نغمتها طبيعية ولـكن يبدو أنهـا ترى ما تصنعه) وأطاحت الريح بقناع أختى بعيداً عن المكان وحاولت قدر استطاعتها أن تبكى ، تعـالى ياعزيزتى ! حاولى مرة أخرى ، إن ذلك أفضل ، دمعتـان . .

دمعتان . . دقيقتان تتأرجحان تحت القناع الأسود . آه ياعزيزتى ! كيف تبدو أوبى هـذا الصباح ! إنها تمسك بذرع أختى ، تساعدها، إنها لاتصرخ ، وأنا لا ألومها إن الدموع تفسد وجه الواحدة منا ، أليست كذلك أوبى كانت ، كما تعلمين ، صديقتى الحنون .

أينز — هل قاسيت كثيراً ؟

استل — أبداً ، لقد كنت فاقد الوعى تقريباً .

أينز — وما الذى ألم بك ؟

استل — بينمونيا (فى نفس اللهجة السابقة) لقد انتهت الآن ، إنهم يتركون المقبرة ، سلام سلام ، إنهم مجرد جمع ،لقد ظل زوجى فى المنزل مستلق من شدة الحزن ، الرجل البائس ـ (لأينز) وماذا بالنسبة لك انت ؟

أينز — موقد الغاز .

استل — وأنت يامستر جارسان ؟

جارسان —١٢ رصاصة فى صدرى (استل يبدو عليها الرعب) آسف ، إننى أخشى ألا أكون رفيقاً طيباً وسط الموتى .

استل — أرجوك .. أرجوك ألا تستعمل هذه الكلمة ، إنها .. سخيفة جداً حقيقة .. لها مذاق مخيف جداً وعلى كل حال فهى لا تعنى كثيراً ، أحس فى بعض

الأحيان أننا لم نكن أحيــاء أبداً مثلما نحن الآن إذا كان علينا أن نذكر ذلك تماماً .. أن نذكر هذا الوضع للاشياء يجب علينا أن ندعوا أنفسنا ، انتظر ،غائبون، هل كنت .. هل كنت غائباً كثيراً ؟

جارسان — حوالى شهر .

استل — من أين أتيت ؟

جارسان — من ريو .

استل — أنا من باريس . هل تعرف أحداً هناك ؟

جارسان — نعم ، زوجتى (فى نفس النغمـــة التى كانت استل تستعملها) إنها تنتظر عندمدخل الثكنات . إنها تذهب كل يوم ، ولـكنهم لا يسمحون لها بالدخول . والآن هى تحاول النفاذ خلال القضبان ، إنها لا تعلم تماماً أننى غائب ، ولـكنها تشك فى ذلك . والآن ستذهب بعيداً، إنها ترتدى فستانهـا الأسود . . إنه أحسن كثيراً . . وهى ليست بحاجة إلى تغييره ، إنها لا تبكى ، ولـكنها لا تبكى أبداً على كل حال . إنه يوم مشمس ناصع،وهى تشبه الشبح الأسود الزاحف فى الشارع الخـالى . تلك عيناها الـكبيرتان الحزينتان مع هيئتها المعروفة . . أوه

كيف تؤثر على أعصابى (صمت قصـــير) ، جارسان
يجلس على الـكرسى المتوسط بين السيدتين و يدفن
رأسه بين يديه .

أينز — استل !

استل — أرجوك يامستر جارسان .

جارسان — ماذا جرى ، هه ؟

استل — إنك تجلس على مقعدى .

جارسان — آه آسف (ينهض)

استل — إنك تبدو ... تبدو بعيداً جداً ، إننى آسفه لأننى أزعجتك .

جارسان — لقد كنت أحيا حياة منظمة (أينز تضحك) يمـكنك
أن تضحكى ولـكن الأفضل لك أن تفعلى كما أفعل .

أينز — لا لزوم ، إن حياتى فى نظام تام . إنها ترتب نفسها جيداً
بالشكل الذى يلائمها . ولذلك فأنا لست فى حاجة إلى
أن أضايق نفسى بشأنها الآن .

جارسان — حقيقة ؟ أنك تعتقدين أنها سهلة هـكذا . (يمسح بيده
على جبهته) أوه .. يالحرارة الجو هنا ! هل تظنين إذاً ؟
(يبدأ فى خلع جاكتته)

استل — كيف تجرؤ (أكثر لطفاً) لا أرجوك ، لا تفعل ، إننى

أشمئز من الرجال فى قمصانهم .

جارسان ـ (وهو يرتدى جاكتته ثانية) حسناً ، (وقفة قصيرة) بالطبع لقد اعتدت أن أقضى الليل فى مكتب الجريدة ، وكانت ضرورة أن نخلع جاكتاتنا . إنه حر خانق (وقفة قصيرة · فى نفس النغمه كما سبق) خانق . هذا هو . . إنه الليل الآن .

استل ـ فعلا . . إنه كذلك · أولجا تخلع ملابسها ، لا بد أننا بعد منتصف الليل ، كيف يمر الوقت سريعاً . . على الأرض

أينز ـ نعم ، بعد منتصف الليل ، لقد ختموا على حجرتى ، إنها مظلمة . مظلمة جداً وخالية .

جارسان ـ لقد علقوا جاكتاتهم على ظهور المقاعد ، وشمروا أكمام قمصانهم فوق الأذرع · . وبدا الجو النتن من الرجال ودخان السجائر · . (صمت قصير) آه ، لقد اعتدت على حب الحياة بين الرجال فى تلك القمصان . .

استل ـ (بشراسة) حسنا . . فنى هذا تختلف أذواقنا · وهذا هو ما يبدو (موجهة الكلام إلى أينز) مارأيك أنت ، هل تحبين الرجال فى قمصانهم ؟

أينز ـ أوه ، إننى لا أهتم بالرجال كثيراً بأى شكل

من الأشكال .

استل — (وهى تنظر إلى رفيقتها بشىء من الحيرة). الواقع . أننى لا أستطيع أن أتصور لماذا وضعونا نحن الثلاثة سوياً ؟ إن هذا غير معقول .

أينز — (وهى تحتبس ضحكة فى حلقها) ماذا تقولين ؟ . .

استل — إننى أنظر إليكما وأفكر فى أننا سنعيش سوياً ، إنه خطأ كبير ، لقد توقعت أن ألاقى أصدقائى القدامى ، أو على الأقل ؛ أقارب .

أينز — فعلا ، صديق قديم عجوز ، جذاب ؛ له فتحة كبيرة وسط وجهه .

استل — نعم ، هو كذلك . إنه يرقص التانجو بشكل مدهش ، كأنه محترف . . لكن ، ترى ، لماذا نحن كلنا وضعنا هكذا هنا ؟

جارسان — يجب أن أقول إنها مصادفة محضة ، لكن . ألا ترين أنهم يلتقطون الذئاب حينما يصلون ليضعونهم هنا . (لأينز) لماذا تضحكين ؟

أينز — لأنك تسليني بمصادفاتك ، كأنهم تركوا أى شىء للصدفة ولكننى أعتقد أنك تحاول استرجاع نفسك بعض

الشىء للتأكد .

استل ـ (بتردد) إننى أعجب الآن ، ألا تظنى أننا ربما قابلنا بعضنا يوماً ما فى حياتنا ؟

أينز ـ إطلاقا . لم أكن لأنساك إذا كان ذلك قد حدث .

استل ـ أو ربما يكون لنا أصدقاء مشتركين . . ترى ، ألا تعرفين ديبوا سيجوار ؟

أينز ـ أبداً .

استل ـ لكن ، ما من أحد إلا وحضر حفلاتهم . .

أينز ـ ماذا يعملون ؟

استل ـ أوه ، إنهم لا يعملون ، لكن لديهم بيتاً فى الريف غاية فى الجمال ، وكثير من الناس يزورونهم .

أينز ـ ولكننى لم أفعل ، لقد كنت كاتبة فى أحد مكاتب البريد

استل ـ (بعد قليل) . . آه . . حقاً . . . بالطبع فى هذه الحالة . (إيماءة) وأنت يامستر جارسان ؟

جارسان ـ إننا لم نتقابل أبداً لقد عشت معظم حياتى فى ريو .

استل ـ إذاً ، فإنك على صواب تقريباً بقولك انها صدفة غريبة تلك التى جمعتنا سوياً .

أينز ـ صدفة غريبة ؟ إذاً ، إنها الصدفة أيضاً هى التى أثثت هذه

الحجرة على ما نراها عليه. وهى صدفة كذلك التى جعلت المقعد الذى على اليمين أخضر ،وهذا الذى إلى اليسار أخضر بلون النبيذ .. صدفة غريبة ؟. .إذاً حاولى فقط أن ترفعى الكراسى وسوف تدركين الفرق بسرعة كافية ، وهذا الشىء على رف المدفئة ، هل تعتقدين أنه هناك بالصدفة وماذا تعرفين عن هذه الحرارة كذلك ؟ (صمت قصير) انى أقول لك انهم فكروا فى كل شىء طويلا ، وبكامل تفاصيله ، لم يدعوا شيئاً للصدفة . . إن هذه الحجرة قد صنعت لنا ومن أجلنا تماماً . .

استل — لكن الواقع أن كل شىء هنا فظيع ، كل شىء بزاوية غير مريحة ، لقد كنت دائماً أكره الزوايا .

أينز — (تهز كتفيها) وهل تعتقدين أنى أعيش فى غرفة استقبال على طراز الإمبراطورية الثانية ؟

استل — إذاً لقد كان كل شىء مثبتاً من قبل .

أينز — نعم ، وقد وضعونا سويا عن قصد .

استل — إذاً فهى ليست مصادفة غريبة أنك تجلسين أمامى ؟ لكن ترى ما هى الفكرة وراء ذلك كله؟

أينز — إسأليني أى شىء آخر . إنى أعلم فقط أنهم ينتظرون .

استل — إننى لا أحتمل أفـكار أى شخص ينتظر منى أن أصنع شيئاً لأننى فى هذه الحالة أحاول أن أقوم بعـــكس ما يتوقع .

أينز — إذاً ، إفعلى إن استطعت ، إنك حتى لا تعلمين ما الذى يتوقعونه .

استل — (تضغط بقدمها على الأرض) إن ذلك غير محتمل ، فإننى بذلك أنتظر الأذى منـكما أيضاً ؟ (تنظر إليه ثم تنظر اليها) شىء قبيح ، على ما أعتقد . هناك بعض الوجوه تدلنى على الشىء فى حينه ، لـكن وجهيـكما لا ينمان عن شىء .

جارسان — (متجها إلى أينز) انظرى هنا ؟ لماذا نحن سوياً ؟ لقد منحتنا كثيراً من السيئات .

أينز — (فى لهجة المستغربة) لـكننى لا أعلم شيئاً ، أى شىء عن ذلك .. إننى أشبهكما فى الظلام تماماً .

جارسان — لقد بدأنا نفهم (يفـكر لحظة) .

أينز — إذا كان أحدنا فقط يستطيع أن يقول .

جارسان — يقول ماذا ؟ .

أينز — استل ؟

استل — نعم ؟

أينز — ماذا فعلت ؟ . . أعنى .. لماذا أرسلوك الى هنا .

استل — « بسرعة » هذه هى النقطة ، فليست لدى أية فكرة ، والحقيقة أننى أندهش إذا لم تكن هناك أية غلطة شنيعة (لأينز) لا تبتسمى ، فكرى فقط فى عدد الناس الذين.. الذين أصبحوا غائبين كل يوم : لا بد أن هناك آلافا مؤلفه ، ومن المحتمل أن يكونوا قد أخرجوا بوساطة موظفين لايدركون مهمتهم جيداً ؛ ولذلك فهم يخطئون أحياناً : آه : لا تبتسمى : (الجارسين) لماذا لا تتكلم أنت ؟ إذا كانوا قد أخطأوا بالنسبة لى أنا ؛ فقد يكونوا أيضاً قد اخطأوا بالنسبة لك (لأينز)وأنت أيضا ؛ على كل حال ؛ أليس من الأفضل أن نفكر فى أننا جئنا إلى هنا خطأ .

أينز — أهذا ماتريدين قوله لنا ؟

استل — ماذا أقول غير ذلك ؟ ليس لدىّ شيئاً لأضيفه ؟ لقد فقدت أبواى عندما كنت طفلة . وكان علىّ أن أعتنى بأخى الصغير . لقد كنا فقيرين بشكل مخيف وعندما عرض على صديق عجوز لعائلتى ،عندماعرض علىّ الزواج

منه، قبلت . كان طيبا جدا ولا بأس به ، كما كان اخى طفلا رقيقا يحتاج الى كثير من الرعاية ! ولذلك فقد أخذت أصلح الطرق ، ألا توافقيننى ؟.. لقد كان زوجى كبيراً بما يكفى لأن يكون أبا لى وليس زوجا . ولكننا ظللنا سعيدين ستة سنوات فى زواجنا .. إلى أن قابلت الرجل الذى قدر لى أن أحبه ، تعارفنا من أول نظرة .. سألنى أن أهرب معه .. ولكننى رفضت ثم أصبت بالبنيمونيا التى أذبلت جسدى .

هذه هى القصة كاملة فما لاشك فيه أننى أخطأت تماماً بزواجى من رجل كان يكبرنى ثلاث مرات (لجارسان) هل تعتقد أن هذه تعد « خطيئة » ؟

جارسان — لا ، بالتأكيد (صمت قصير) والآن أخبرينى هل تعدينه عملا إجرامياً أن تطلعى على الشئون الخاصة لإنسان آخر . .

استل — لا بالطبع ، فما لا شك فيه أن أحداً لا يستطيع أن يلوم إنساناً على ذلك !

جارسان — إنتظرى لحظة ! كنت أدير جريدة محايدة، ثم بدأت الحرب ، انتظر الجميع ليروا ماذا سأصنع، كانوا يرقبوننى ، وماذا كان

على أن أفعل . . كانوا يقولون « هل سيجرؤ » وبالفعل
جرؤت وشمّرت ذراعى فأطلقوا على النار . هل أخطأت؟

استل — (وهى ترخى يديها لتسريح) خطأ ؟ بالعكس . .
لقد كنت...

اينز — (تتدخل بشىء من القوة) .. بطل !ولكن زوجتك
ماذافعلت يا مستر جارسان ؟

جارسان — كان ذلك هيناً ، لقد أنقذتها من . . . من
المزراب المائى.

استل (لأينز) أرأيت . . أرأيت !

اينز — نعم ، رأيت (إيماءة) انظرى هنا ! أى دور تحاولين
أن تلعبيه فتلقى بالتراب فى أعين الآخرين إننا كلنا من
من نوع واحد .

استل — (بغضب) كيف تجرؤين !

اينز — نعم نحن مجرمون ـ قتلة ـ كلنا نحن الثلاثة ـ إننا
فى جهنم، ياللأطفال المدللين، إنهم لم يقترفوا أى ذنب
والناس لا تدان بلا سبب .

استل — إسكتى ! . . من أجل السماء . . .

أينز — فى جهنم ! أرواح قذرة ـ هى نحن ـ نحن الثلاثة !

استل — اسكتى ، إننى أمنعك من استعمال مثل هذه الكلمات البذيئة .

أينز — روح قذرة ـ أنت ، أيتها القديسة فى الجبس . وصديقنا هذا الذى هناك . النبيل الحايد . لقد اقتنصنا ساعاتنا المرحة ، أليس كذلك ، هناك أناس أفنوا حياتهم من أجلنا ـ ونحن ضحكنا عليهم . . والآن ، نحن ندفع الثمن .

جارسان — (رافعاً قبضته) هل لك أن تغلقى فمك ، أيتها الملعونة !

أينز — (وهى تواجـــه تهجمه ، ولـكن بشـكل يبدو عليه الاستغراب) حسنا ؛ حسنا ، (إيماءه) آه ، إننى أدرك الآن،أعرف لماذا وضعونا نحن الثلاثة سوياً .

جارسان — إننى أنصحك أن تفـكرى مرتين قبل أن تتـكلمى مرة ثانية .

أينز — اسمع ، إن الأمر غاية فى البساطة . . يفهمه الأطفال ، من العجيب أنه لن يـكون هناك عذاب جسمانى ، أنت توافقنى ،أليس كذلك ؟، سنبقى إذاً فى هذه الحجرة سوياً ، نحن الثلاثة ، إلى الأبد ، أبد الآبدين ،وباختصار

هناك شخص غائب هنا ، المعذب الرسمى .

جارسان — (بصوت هادىء) لقد لاحظت ذلك .

أينز — والأكثر غرابة ما سيحدث بعد ذلك - إننا سنعذب أنفسنا بطاقاتنا الشريرة . . نفس الفكرة مثلما يفعل الزبائن فى بعض المحلات ، عندما يقومون على خدمة أنفسهم .

أستل — وماذا تريدين أن تقولى أيضاً ؟

أينز — إن كل واحد منا سيمثل دور المعذب بالنسبة للآخرين (صمت قصير يتبينون فيه هذا المعنى).

جارسان — (بلطف) لا ،أنا لن أكون معذباً لكما ، إننى لاأريد بواحدة منكما أى شر ، ولاعلاقة لى بكما ، أية واحدة منكما على الأطلاق ، وبذلك نرى أن الحل غاية فى السهولة كل واحد منا يقبع ساكناً فى ركنه ، ولا أخذ أية ملاحظة على الآخرين ، أنت هنا ، وأنت هنا ، وأنا هناك ، كأننا جنود فى مواقعهم . كما أنه لا يجب أن نتكلم ، لا نتكلم كلمة واحدة . لن يكون هذا صعباً ، فكل واحد منا لديه مواد لتفكيره . أنا شخصيا أعتقد أن أفكارى تكفينى لأظل هادئاً عشرة

آلاف سنة .

استل — هل على أن أظل صامتة أنا الأخرى ؟

جارسان — نعم ، وبهذه الطريقة — . . . سنصنع بأيدينا خلاصنا فنتأمل نفوسنا ، ولا نرفع رؤوسنا ، ألا توافقانى ؟

إينز — موافقة .

استل — (بعد تردد) وكذلك أنا . .

جارسان — إذاً ؟ . . فحظ سعيد

(يذهب إلى كرسيه ، ويدفن رأسه فى يديه ، صمت طويل ، ثم تبدأ إينز تغنى لنفسها

أينز —(تغنى). . . . .

. . . .

. . . .

(وفى نفس الوقت كانت استل تخرج البودرة وأحمر الشفاة ، وتبحث حولها عن مرآة ، تقلب فى حقيبتها ، ثم تستدير نحو جارسان)

إستل — اسمح لى ، هل معك مرآة ؟ (جارسان لا يجيب) أية مرآة ؛ مرآة للجيب قد تصلح . . (يظل جارسان صامتاً) حتى إذا لم تشأ أن تكلمنى . يمكنك أن تعيرنى المرآة

(يظل رأسه مدفوناً بين يديه متجاهلا إياها)

أينز — (بشغف) لا تقلقى فلدى مرآة فى حقيبتى . (تفتح حقيبتها . بغضب) ليست فيها ! لا بد وانهم أخذوها عنـد المدخل .

استل — ياللشقاء (صمت قصير . استل تغمض عينيها وتمايل كأنها على وشك الإغماء . اينز تجرى إليها وتحملها)

أينز — ماذا بك ؟

استل — (تفتح عينيها وتبتسم) أشعر باشمئزاز (تتحسس نفسها) ألم تشعرى بهـــــذه الحالة من قبل ؟ عندما لا استطيع رؤية نفسى أبدأ فى الشك إذا ما كنت موجودة حقيقة . . إننى أتحسس نفسى فقط لأتأكد . ولـكن هذا لا يفيد كثيرا . .

أينز — إنك محظوظة . فأنا دائماً قلقة على نفسى فى مخيلتى . إننى أقلق بشـكل مؤلم .

استل — آه . نعم . فى مخيلتك ، لـكن كل شىء يجرى فى مخيلة الإنسان غامض جداً أليس كذلك ؟ إن ذلك يدفع الإنسان إلى النوم (تصمت هنيهة) إن لدى ست مرايات كبيرة فى حجرة نومى . ها هى هناك . . إننى

أستطيع أن أراها ولـكنها هى لا ترانى ، إنها تعكس البساط والـكنبة والنافذة.. لـكن . يالها من مرآة فارغة. مرآة لا وجود لى فيها . عندما كنت أتحدث مع الناس كنت دائما أتأكد من أن هناك شخصا قريبا منى أستطيع أن أرى نفسى خلاله كنت أراقب نفسى وأنا أتـكلم . فهذا يجعلنى متيقظة ، فأنا أرى نفسى عندما يرانى الآخرون . . . آه يا عزيزتى ؟ أحمر شفاهى ! إننى واثقة أننى قد وضعته بشـكل مشوش . لا . . لا يمنى أن أضع الأحمر بلا مرآة . للأبد . وفى أى مكان . فأنا لا أستطيع ببساطة .

أينز — إفرضى أننى أحاول أن أكون مرآتك ؟ تعالى وزورينى يا عزيزتى . فهذا مكان لك على مقعدى .

استل — ولـكن . . . — (تشير إلى جارسان)

أينز — أوه إنه لا يدقق . .

استل — ولـكننا سنحاول أن . . أن نؤذى بعضنا . لقد قلت ذلك بنفسك .

أينز — هل يبدو على أننى أريد أن أؤذيك ؟

استل — لا يستطيع الواحد أن يعرف .

أينز — إذا فيبدو أنك ستؤذينني . . لا . . إجلسى ، فليس فى ذلك شىء ، إذا كان مكتوباً على أن أشقى . فقد يكون ذلك على يديك ، يديك الجميلتين : إجلسى ، لا . . إقتربى أكثر ، أكثر ، . انظرى فى عينىّ ؟ ماذا ترين ؟

استل — أوه . . إننى هناك ، لكن بدقة جداً ، إننى لااستطيع أن أرى نفسى جيداً . .

أينز — ولكننى أنا أستطيع ، كل جزء منك ، والآن إسألينى بعض الأسئلة ، وسأكون دقيقة معك كأية مرآة .

(إستل يبدو عليها الارتباك ، تستدير إلى جارسان ، كأنما تسأله المساعدة) .

إستل — أرجوك ، يامستر جا سان ، أواثق أنت أن نقاشنا لا يزعجك ؟ (جارسان لا يرد)

أينز — لاتقلقى عليه ، كما قلت لك ، إنه لا يدقق ، دعينا نهتم بأنفسنا . . . إسألى . .

استل — هل شفتاى على ما يرام

أينز — أرينى ، لا ، إن الأحمر مشوش قليلا .

استل — فكرت فى ذلك لحسن الحظ (تلقى نظرة سريعة

على جارسان) لحسن الحظ أنه لم يرنى أحـــــــد . .

سأحاول ثانية .

أينز — هذا أحسن ، لا . . إتبعى خط شفتيك ، إنتظـــرى !

سأمسك بيدك . هناك . هذا أحسن جداً .

استل — أهو الآن كما كان عليه شكلى عندما دخلت إلى هنا ؟

أينز — أحسن بـكثير ، أقسى ، إن فمك يبـــــدو جهنمياً

بهذه الطريقة !

استل — ياللجمال ! وانت تقولين إنك معجبة به ! أليس شقاءً

أننى لا أستطيع أن أراه ! أأنت واثقة أنه جميـل الآن

يامس سيرانو ؟

أينز — ألا تنادينى أينز ؟

استل — أأنت واثقة أنه يبدو جميلا ؟

أينز — إنك حبوبة . . يا استل.

استل — ولـكن ، كيف يمكننى أن أثق فى ذوقك ؟ أهو تمامـاً

مثل ذوقى ؟ أوه ، ياله من ألم كاف لأن يجعل الانسان

مجنوناً !

أينز — إن لى ذوقك يا عزيزتى ، لأننى أحبك كثيراً . إنظرى إلىّ ،

لا ، أكثر . . والآن إبتسمى . . إننى لست قبيحة جداً

ألست أجمل من مرآتك ؟

استل — أوه . . إننى لا أعرف، ثم إنك تفزعيننى ، إن انعكاسى على المرآة لا يوحى بذلك ، بالطبع . . أنا أعرفه جيداً كأنه شىء أنا التى جعلته أليفاً . . . سأبتسم ، وستغوص ابتسامتى فى مقلتيك ، والقدر وحده هو الذى يعلم كيف ستصير . .

أينز — ولماذا لا تروضيننى أنا أيضاً مثل مرآتك (تحدق السيدتان فى بعضها ، استل يبدو عليها الخوف) . . . إسمعى ! أريد أن تنادينى « أينز » يجب أن نكون صديقتين . .

استل — إننى لا أنشىء صداقة مع النساء بسهولة .

أينز — تقصدين ، ليس مع كاتبة البريد ؟ مرحى ، ما هذه ، هذه البقعة الحمراء القذرة التى فى أسفل خدك ؟ دمل ؟

استل — دمل ، أوه ، أيتها الحمقاء الساذجة ! أين .

أينز — هناك . . . إنك تعرفين الطريقة التى يمسكون بها القنبرات (نوع من الطيور) بمرآة ؟ . . إننى مرآة قنبرتك ياعزيزتى ، وأنت لا تستطيعين أن تتخلصى منى ليس هناك أى دمل ، ولا أى أثر لدمل ، ولكن ما رأيك ، تصورى ان المرآة بدأت تكذب عليك ؟ أو

إفرضى أننى أغمضت عينى — كما يفعل هو — ورفضت أن أنظر إليك ، ألا ترين أن جمالك كله سيصير سدى لـكن ، لا ، لا تخافى ، إننى لا أحتمل أن أغمض عينىّ دونك ، لن أحول عينىّ عنك ، وسأكون لطيفة معك ، إلى الأبد ، ولـكن يجب أن تـكونى لطيفة معى ، أنت الأخرى . . .(صمت قصير)

استل — هل أنت حقيقة . معجبة بى ؟

أينز — جداً جداً . . حقيقة . . . (صمت قصير)

استل — (تشير إلى جارسان برأسها فى حركة خفيفة) ولـكن أودأن يلاحظنى هو أيضاً . .

أينز — بالطبع ! لأنه رجل (لجارسان) لقد كسبت (جارسان لا يقول شيئاً) ولـكن انظر إليها ، ياللحماقة (جارسان لا يجيب مرة أخرى) لا تتظاهر ، إنك لم تفتك كلمة مما قلناه . .

جارسان — بالفعـــــل ، ولا كلمة ، إن أصابعى فى أذنى ، ولـكن صوتـكما كان يرن فى رأسى ، نقـاش سخيف ، والآن ستتركانى فى سلام أنتما الاثنين ؟ إننى لاأهتم بـكما .

أينز — ربما أنت لا تهتم بى ، ولـكن ، هل الأمر كذلك بالنسبة لهذه الطفلة ؟

جارسان — لقد سألتك أن تتركينى فى سلام . هناك شخص يتكلم
عنى فى مكتب الجريدة ، وأريد أن أسمعه . وإذا كان قولى
سيجعلك أسعد فإننى أكرر أننى لا أهتم «بالطفلة» كما سميتها

استل — شكراً . .

جارسان — أوه إننى لم أقصد أن أقولها بوقاحة .

استل — سافل . . . . (ينظران الى بعضهما بضع دقائق)

جارسان — إذاً . . فالأمر كذلك ، (إيماءه) تعرفين أننى رجوتك

استل — إنها غلطتها . هى التى تحركت . إننى لم أطلب منها
شيئاً. وقد جاءت هى وعرضت على مرآتها ...

أينز — أهكذا تقولين . ولكنك حاولت كل الوقت بالنسبة
له كنت تحاولين أن تجذبى انتباهه .

استل — حسنا ، . . ولم لا ؟

جارسان — إنكما مجنونتين أنتما الأثنتين ، ألا ترين إلام يجرنا هذا
النقاش ؟ اشفقا بى ؟ لا تتكلما ، (إيماءة) والآن ،
دعونا نجلس مرة ثانية هادئين ، سننظر إلى الأرض ،
ويجب أن يحاول كل منكما أن ينسى وجود الآخرين
(صمت أطول ، جارسان يجلس ، المرأتان تعودان
بتردد إلى مكانيهما ، وفجأة تستدير أينز إليه) .

أينز — أن ينسى وجود الآخرين يالللحماقة الخرقاء ! إننى أحس بك هناك ، هناك فى أسفل مخى أن لصمتك صدىً فى أذنى. تستطيع أن تغلق فمك أو تقطع لسانك ، لكنك لا تستطيع تجاهل وجودك هنا . هل تستطيع أن توقف أفكارك ؟ إننى أسمعها تنقر مثل الساعة ، تيك ، توك تيك ، توك . . وأنا واثقة من أنك تسمع أفكارى . إنك حقيقة مدفوس فى كرسيك ، لكنك فى كل مكان وكل صوت يأتى إلىّ ملوثا لأنك قاطعته وهو فى طريقه إلى . لماذا ، لماذا سرقت وجهى وأنا لم أفعل ! وماذا عنها ، عن استل ؟ لقد سرقتها منى ايضاً ؛ إذا كنت أنا وهى وحدنا ، هل تعتقد أنها كانت تعاملنى كما تفعل الآن ؟ لا إنزع يديك عن وجهك ، إننى لن أتركك فى سلام ـ إن هذا قد يلائم كتابك تماماً ، قد تستطيع أن تجلس هناك فى غيبوبة ، وحتى إذا لم أرها فسوف أحسها فى عظامى ـ ذلك لأنها كانت تصنع كل صوت ، حتى صوت احتكاك فستانها من أجلك أنت وتلقى إليك بابتسامات لم ترها . . حسنا ، إننى لن أقف دون ذلك ، إننى أفضل أن أختار جحيمى ، أفضل

أن أراك بعينى ، وأن أقاتلك وجهاً لوجه .

جارسان — إسلكى الطريق الذى يعجبك ، إننى أعتقد أننا مرغمون على الوصول إلى هذه الحالة ، إنهم يعلمون ماذا يصنعون إننا غذاء شهى ، إذا كانوا قد وضعونى فى حجرة مع رجال . . . فالرجال يستطيعون أن يغلقوا أفواههم . ولكن . . ما من فائدة فى طلب المستحيل . (يذهب الى استل ويتحسس رقبتها) إذاً . . أنا أجذبك يافتاتى الصغيرة ؟ يبدو أنك كنت تحدقين فىّ !

استل — لا تلمسنى .

جارسان — لم لا ؟ يمكننا على الأقل أن نكون طبيعيين . ألا تعلمين أننى تعودت أن أجن بالنساء ؟ وكان بعضهن مفعماً بى . يمكننا ألا نكتفى بمجرد النظر إلى بعضنا ، فإننا لن نقلق أنفسنا بالأدب واللطف ، وماذا يبقى ؟ إننا بين أنفسنا ، وسنخلع فى الحال ملابسنا ، كأننا أطفال ولدوا من جديد .

استل — أوه ، دعنى أكون .

جارسان — أطفال ولدوا من جديد . . حسنا . . لقد حذرتك على كل حال . لقد طلبت منك شيئاً قليلا . بل لا شىء

غير السلام،وقليلا من الصمت . وقد وضعت أصابعى فى أذنى . وكان « جومى » يتدفق كعادته وهو واقف وسط الحجرة . وكل الصحفيين فى قمصانهم يستمعون إليه . . حاولت أن أسمع : ولكنك لم تكونى سهلة . إن الأشياء على الأرض تتحرك بسرعة كما تعلمين . ألم يكن فى استطاعتكما أن تخرسا لسانيكما ؟ والآن ، إنتهى فقد إنتهى هو من الكلام ، وكل أفكاره عنى قد عادت إلى رأسه ، حسناً لقد أوتينا الوسيلة أن نراها بطريقة ما . . . عارية كما خلقنا ، بل أحسن بكثير ؛ إننى أريد أن أعرف مع من يمكننى النقاش .

أينز — إنك تعرف فعلا ، ليس هناك شيئاً جديداً لتتعلمه .

جارسان — إنك مخطئة ، فلم يعلم أحدنا تماماً ماذا يدور هنا ... إننا لا نعلم شيئاً . لماذا أدانوها أو أدانوه هو . . لا نعلم أى شىء لماذا ؟ قولى لنا لماذا اذا كنت صريحة .. إننا اذا أحضرنا أشباحنا على الحقيقة ، فقد ينجينا هذا من الكارثة ... ولذلك قولى لنا لماذا ؟

استل — لقد قلت لك ، ليست لدى أية فكرة إنهم لم يقولوا لى. لماذا ؟

جارسان — فعلا إنهم لم يقولوا لى كذلك ، ولـكننى لدى فـكرة . . ربما أنت تخجلين من الـكلام أولا ؟ حسناً . سأتولى البداية أنا . (صمت قصـــير) إننى لست إنسانا محترماً.

أنيز — لا لزوم لأن تقول لنا هـذا ، نحن نعلم أنك كنت هارباً

جارسان — ليكن ذلك . إن هذا فقط جانب جزء مما حدث . . إننى هنا لأننى عاملت زوجتى بشناعة . هـذا كل شىء . خمس سنوات. ومن الطبيعى أنها مازالت تقاسى . .هاهى هناك فى اللحظة التى أذكرها فيها . إننى أراها . إنه جومى هو الذى يهمنى . وهى التى أراها ، أين ذهب جومى ؟ خمس سنوات هناك ! لقد أعطوها حاجياتى ؛ إنها تجلس إلى جوار النافذة وقد غطت رجليها بالبالطو . البـالطو الذى به اثنى عشر ثقبا من الرصاص . . . الدم كالصدأ خاتم قانى حول كل ثقب . . نعم . . البالطو يشبه قطعة أثرية . ولقد تعودت أن ألبسه ، هـذا الوهم ! . . . والآن ألا تستطعين أن تدمعى دمعة . ياحبى . . ؟ إنك ستدمعين فى النهاية بالتأكيد ؟ لا ؟ ألا تستطين التصور ؟ . . . لقد كنت آتى كل ليلة ثملا أعمى أتمايل من الخمر والنساء ،

وكانت تجلس إلى جوارى بالطبع ، ولـكنها لم تصرخ أبداً
ولم تتفوه بكلمة عتـاب ، عينـاها فقط كانتا
تتـكلمان، عينان كبيرتان ، ساحرتان . أنا لا آسف
على شيء ، يجب أن أدفع الثمن ، ولن أبـكى ... إن
الثلج يتساقط فى الشارع ، ألا تبكين ؟ يالك من حيرى!
لقد كانت هذه المرأة مولودة للتضحية .. أنت تعلمين .
ضحية ممتازة .

أينز — (بحنان) .. لماذا كنت تؤلمها هكذا ؟

جارسان — كان الأمر سهلا ، كلمة واحدة كافية لتجعلها راضية .
مثل ، النبات الحساس . لـكنها لم تـكن تلومنى إطلاقاً
إننى مولع بالمـكايدة ، كنت أراقب وأنتظر ، لـكن
لا .. لا دموع ولا احتجاج . لقد هربتها من المزراب
كما تعلمين ...والآن هى تتغطى بالبـــالطو . عيناها
مغمضتين وهى تتحسس بأصابعها خروق الرصاص . ماذا
تتوقعين بعد ذلك ؟ لقد قلت إننى لا أعتذر عن شيء .
والحقيقة أنها أعجبت بى كثيراً ، ولـكن هل هـذا
يعنيك فى شيء ؟

أينز — لا .. لم يعجب أحد بى .

جارسان — هذا أحسن كثيراً ، هذا أحسن بالنسبة إليك ،أعتقدأن
القول غامض بالنسبة لك ، ولـكن إليك شيئاً تستطيعين
التدخل فيه . لقد أحضرت فتاة مولدة لتعيش معنـا فى
البيت . كانت زوجتى تنام فى الدور العلوى ، ولـكنها
كانت تسمع كل شىء بلاشك... كل شىء. كانت تصحو
قبلنا ، لأننى أنا والفتاة كنا نظل فى السرير إلى وقت
متأخر ، فقد كانت هى بنفسها تقدم لنا قهوة الصباح .

أينز — حقير ! ..

جارسان — نعم ، حقـير ، إن أردت .. ولـكنه حقـير مرغوب ..
(نظرة بعيدة تأتى من بعيد وتلتقى بنظراته) لا . لاشىء
إنه جومى فقط .. وهو لا يتكلم عنى ... ماذا كنت
تقولين ؟ نعم حقير . بالتأكيد . وإلا فلماذا ، إذا لم أكن
كذلك ،أوضع هنا (لأينز) . . دورك .

أينز — حسنا ، لقـد كنت كما كان يدعونى بعض الناس هنـاك
« عاهر ملعونة » ملعونة فعلا . . ولذلك فلا عجب من
كونى هنـــــا .

جارسان — أهذا كل ما عندك .

أينز — لا . . هناك أيضاً عملى مع فلورانس . قصة رجل ميت .

ثلاث جنيات ، كان هو البادىء ، ثم أناوهى . وعلى كل
فلم يبق أحد، فليس هناك ما أقلق عليه . لم يبق إلا تلك
الحجرة ، إننى أراها الآن . . فارغة ، بالأبواب المغلقة..
لا ، إنهم فتحوها منذ قليل ، وكتبوامذكرةعلىالباب..
إنها . . . مضحكة جداً

جارسان — ثلاثة ؟ قلت ثلاث جنيات ؟

أينز — ثلاثة . .

جارسان — رجل وإمرأتان ؟

أينز — نعم

جارسان — حسناً ، حسنا (إيماءة) هل قتل نفسه ؟

أينز — هو ؟ لا ، لم تكن لديه الشجاعة لذلك ، لقد جررناه
إلى حياة كحياة الكلاب ، ثم دهمه ترام . . نهاية تافهة
لقد كنت أعيش معهما . . . كان هو ابن عمى

جارسان — هل كانت فلورنس شقراء ؟

أينز — شقراء ؟ (تنظر إلى استل) أنت تعرف . أنا لا أعتذر
عن شى ، وما زلت غير راغبة فى أن أقص عليك القصة

جارسان — كل هذا عظيم . . إذاً لقد تألمت منه ؟

أينز — بالتدريج ، كل هذه الأنواع من الأشياء الصغيرة

كانت ترهق أعصابى . وفى إحدى اللحظات، صنع جلبة عندما كان يشرب، نوع من البقبقة ، أو توافه مثل هذه . لقد كان مثيراً للشفقة فعلا، قابلاً للانتقاد. لماذا تبتسم ؟..

جارسان — لأنى أنا ، على أى حال ، لست عرضة للانتقاد .

أينز — لا تكن واثقاً . . . لقد زحفت داخل جلدها . رأت الدنيا بعينى أنا ، وعندما تركته ، أخذتها على ذراعى ، وتقاسمنا حجرة للنوم والجلوس فى طرف البلدة .

جارسان — وبعد ذلك ؟

أينز — وبعد ذلك قام الترام بمهمتة ، وقد اعتدت أن أذكرها كل يوم . نعم يا عزيزتى ، نحن قتلناه سوياً (ايماءة) أنا أيضاً . . قاسية . . فى الواقع . .

جارسان — مثلى تماماً

أينز — لا ، انك لست قاسياً ، انك شىء آخر .

جارسان — ماذا ؟

أينز — سأخبرك فيما بعد . عندما أقول إننى قاسية ، أعنى أننى لا أستطيع أن أعيش دون أن أجعل الناس يقاسون مثل الجمرة ، جمرة متقدة فى قلوب الناس ، وعندما أكون وحدى أنطفىء . . ستة شهور كاملة كنت ألهب قلبها

حتى لم يبق الا الرماد . . وفى ذات ليلة قامت و ذهبت الى موقد الجاز بينما كنت نائمة ، ثم تسللت ثانية الى الفراش . . والآن أنت تعلم . .

جارسان — حسناً ، حسناً . .

أينز — حقاً ؟ ما قولك فى ذلك ؟

جارسان — لا شىء ، انها ليست قصة شيقة . .

أينز — غريبة . ولكن ، ماذا يهم ؟

جارسان — وكما تقولين ، وماذا يهم ؟ (لاستل) دورك ، ماذا صنعت ؟

استل — كما قلت لكما ، ليست لدى فكرة ، انى أتعب عقلى بلا فائدة . .

جارسان — حسناً ، وعلى كل حال سنساعدك . . ذلك الصديق صاحب الرأس المحطم . من هو ؟

استل — من . . من الذى تعنيه ؟

أينز — انك تعرفين جيداً . الرجل الذى فزعت عندما رأيته ساعة دخولك ؟

استل — آه . . هذا ! مجرد صديق لى . .

جارسان — لماذا كنت خائفة منه ؟

استل — هذا من شأنى أنا يامستر جارسان.

أينز — هل أطلق على نفسه الرصاص من أجلك ؟

استل — بالطبع لا ؛ يالك من وقحة . .

جارسان — اذاً ، لماذا فزعت عند ما رأيته ، لقد أطلق الرصاص على نفسه،أليس كذلك،ولذلك فان وجهه يبدو مهشما . .

استل — لا . . أرجوك ألا تستمر . .

جارسان — بسببك .. بسببك .

أينز — لقد أطلق على نفسه الرصاص بسببك . .

استل -- اتركانى وحدى ! إنه ... إن هذا ليس عدلا ، أن تلومانى على هذا النحو،أريد أن أذهب!أريد أن أذهب !

(تجرى إلى الباب وتهزه)

جارسان — إذهبى،إذا استطعت، أنا شخصياً لا أطلب شيئاً أحسن من ذلك ، ولسوء الحظ أن الباب مغلق . (استل تضغط على الجرس ولكنه لايسمع صوته ولا يدق ، أينز وجارسان يضحكان ، تستدير استل إليهما وظهرها للباب)

استل — (فى صوت مبحوح) .. إنكما شريران .. كلا كلا ..

أينز — شريران ، نعم هذه هى الكلمة والآن لنفكر ثانيه ذلك الرجل الذى قتل نفسه بسببك ، لقد كنت أنت

عشيقته . . هه ؟

جارسان — بالطبع ، كانت . وأراد أن يحظى بها وحده ، هكذا . . أليس كذلك ؟

أينز — كان يرقص التانجو كأنه محترف ، ولـكنه كان فقـيراً كالفأر فى كنيسة ، هذا صحيح . . أليس كذلك ؟ . .

(صمت قصير) .

جارسان — أ كان فقيراً أم لا . .أعط إجابة واحدة .

استل — نعم ، كان فقيراً . .

جارسان — وكان عليك أن تحافظى على سمعتك ، وجاء إليك يوماً وطلب منك أن تهربى معـــــه ولـكنك ضحكت من فـكرته . .

أينز — هذا تماماً ، أنت ضحكت من فكرته ، فقتل نفسه .

استل — لقد اعتدت أن تنظرى إلى فلورانس بهذه الطريقة ؟

أينز — نعم . . (إيماءة قصيرة ، ثم تنفجر إستل ضاحكة)

استل — لقد كانت فـكرتكما خاطئة ، أنتما الإثنين ، (تحـرك كتفيها ؛ مازالت متكئة على الباب وهما فى مواجهتها ، ويتحشرج صوتها قليلا).

لقد أراد أن يـكون لى طفلاً . هذه هى المشكلة . .

جارسان — وأنت ، ألم تكونى تريدين؟

استل — بالطبع لم أكن أريد . ولكن الطفل أتى لسوء الحظ ، ذهبت إلى سويسرا خمسة شهور ، لم يعرف أحد أى شيء، كانت فتاة ، كان روجر معى عندما وضعت ولقد أسعده أن يصبح أباً لفتاة ، أسعده بشكل جنونى ، فى حين لم يعجبنى أنا !

جارسان — وبعد ذلك ؟

استل — كانت هناك شرفة تطل على البحيرة ، أحضرت حجراً كبيراً ، واستطاع أن يرى بنفسه ماذا أنا مقدمة عليه ، وظل يصيح « استل من أجل الإله لا . . ! » وكرهته حينئذ . لقد رأيت كل شيء. وكان متكئاً على البلكون ورأى حلقات الماء وهى تنتشر على سطحه . .

جارسان — وبعد ذلك ؟

استل — هذا كل شيء . عدت إلى باريس ، ونفذ هو ما أراده لنفسه..

جارسان — هل تعتقدين أنه أطلق النار على نفسه ؟ . .

استل — لقد كانت حماقة منه فعلا ، إن زوجى لم يكن يشك فى فى أى شيء (إيماءة) أوه كم أحتقرك ! ..(تبكى بلادموع)

جارسان — البكاء لا يفيد ، فان الدموع لا تأتى فى هذا المكان ..

استل — إننى جبانة . جبانة (إيماءة) آه لو تعلم كم أكرهك !

أينز — (وهى تأخذها بين ذراعيها) طفلتى العزيزة ! (لجارسان إسمع ، لقد إنتهى إستماعنا إليها ولا داعى لأن تبدوا هكذا كقاض يميل إلى القتل . .

جارسان — أبدو كقاضٍ يميل الى القتل (ينظر فيما حوله) اننى أعطيك أى شىء كى أرى نفسى فى مرآة . (ايماءة) يالحرارة الجو ! (ينزع عنه جاكتته بلا تفكير) آه آسف (يبدأ فى ارتدائها ثانية) .

استل — لا تضايق نفسك ، تستطيع أن تجلس بيننا بقيمصك ما دامت الأشياء . .

جارسان — هكذا تماماً . . (يضع الجاكته على المقعد) . لا يجب أن تغضبى منى يا استل .

استل — لا ، لست غاضبة منك .

أينز — وماذا عنى أنا ، أأنت غاضبة منى ؟

استل — نعم . . . . (صمت قصير)

أينز — حسناً يا مستر جارسان ، نحن الآن أمامك بلا رياء . . هل تعتقد أن الأمور ستكون أحسن من ذلك ؟

جارسان — إننى أعجب . نعم ، ربما أحسن قليلا (بحنان) والآن إفرضوا أننا بدأنا تساعد بعضنا ؟

أينز — أنا لا أريد مساعدة .

جارسان — أينز ، إسمعى ، لقد حبكوا شركهم لنا بمكر تام . . تماماً مثل خيط العنكبوت،حتى إذا أنت صنعت أية حركة أو رفعت يدك من الحر ، فإننى أنا واستل ، نشعر كأننا شددنا . . إسمعى ، لا أحد وحده يستطيع أن ينقذ نفسه بنفسه ، لقد شبكونا ببعضنا بشكل كامل . ولذلك يجب أن تختارى . (إيماءة) مرحى . ماذا يحدث . . .

أينز — لقد تركوها الآن . إن النوافذ مفتوحة على اتساعها ، هناك رجل جالس على فراشى ، فراشى إذا سمحت ! لقد تركوها ! تركوها ! أدخل ، أدخل ،اعتبر نفسك فى بيتك ، أيها الوقح ! آه هناك إمرأة أيضاً ، إنها تصعد إليه ،وتضع يديها على كتفه . . . ياللقذارة ، لماذا لا يضيئون الحجرة ؟ إنها تظلم شيئاً فشيئاً . إنه على وشك أن يقبلها ، ولكن هذه حجرتى ، حجرتى ! لقد طغى الظلام الآن . لا أستطيع أن أرى شيئاً ، ولكننى أسمعهما يتهامسان ، يتهامسان . ترى هل سيتبادلان

الغرام على سريرى ؟ ما هذا الذى تقوله ، لقـــد ظهرا بينما وهج الشمس يملأ الغرفة؟ لابد أننى سأفقد بصرى (إيماءة) اسودت تمـاماً . لا أستطيع أن أرى شيئاً أو أسمع شيئاً . إذا فهذا فرق ما بينى و بين الأرض ، (ترتعد) إننى أحس الفراغ ، إننى جامدة . . بل الواقع أننى ميتة كل جـزء منى هنا ، فى هذه الحجرة (إيماءة) ماذا كنت تقول ؟ شيئاً عن مساعدتى ؟ أليس كذلك ؟

جارسان — نعم .

أينز — تساعدنى على أى شىء ؟

جارسان — لنهزم هذه الألعاب الشريرة ؟

أينز — وماذا تتوقع منى مقابل مساعدتك ؟

جارسان — أن تساعدينى بدورك ، إنها تحتاج فقط إلى مجهود بسيط يا أينز ، فقط ، جزء من الشعور الإنسانى .

أينز — الشعور الإنسانى . إن هذا خارج عن حـدودى إننى عفنة . .

جارسان — وماذا عنى أنا ؟ (إيماءة) إن الأمر يستوى ، إفرضى أننا نحاول ؟

أينز — لا فائدة لقد تجمـدت كلية . لا أستطيع أن آخـذ أو

أعطى ، كيف أستطيع أن أساعدك ، جيفة ميتة فى طريقها إلى الحريق (تستلقى فى سكون) وهى تحدق فى استل التى دفنت رأسها بين يديها) فلورانس كانت شقراء ، شقراء طبيعية . .

جارسان — هل تتحققين من أن هذه المرأة الصغيرة قد جعلت لتكون معذبتك ؟

أينز — ربما ، لقد خمنت ذلك .

جارسان — سيحصلون عليك عن طريقها ، أما أنا ، فإننى مختلف جداً ، إننى لا أهتم بها ، إفرضى أنك حاولت . . .

أينز — نعم ؟

جارسان — إنه فخ . . إنهم يراقبونك ليروا ماذا كنت ستقعين فيه .

أينز — إننى أعرف ، وأنت أيضاً فى فخ آخر ، ألا تعتقد أنهم يعلمون كل كلمة تقولها ؟ بالطبع هناك سماعات لا نستطيع نحن أن نراها . إن كل شىء هنا عبارة عن فخ ، ولكن ماذا يهمنى ، فإننى أنا شخصياً فخ أيضاً . . لها . . وربما أنا التى سأصيدها . .

جارسان — أنت لن تصيدى شيئاً . إننا نطارد بعضنا ، نجرى وراء أنفسنا فى دائرة شريرة ، مثل الخيل فى حلبة السباق ، وهذا بالطبع جزء من خطتهم . . . أسقطيها من حسابك يا أينز ، إفتحى يديك ودعى كل شىء يذهب وإلا فانك ستجرين القرف علينا نحن الثلاثة . .

أينز — هل يبدو على أننى ذلك النوع من الأشخاص الذى يترك شيئاً ؟ إننى أعرف ما سيحدث لى . إننى ذاهبة إلى النار . وسأبقى هناك إلى الأبد . نعم ، أنا أعرف كل شىء ، ولكن ،أتعتقد أننى سأترك شيئاً ؟ إننى سأمسكها ، ستراك هى بعينىّ أنا كما كانت فلورنس ترى ذلك الرجل الآخر . . وما فائدة اشتراكى معهم عاطفياً ، إننى أعرف كل شىء ، ولا أستطيع أن أحس الأسى ولا حتى من أجل نفسى . فخ ! ألست أعرفه ، وإننى أنا نفسى فى مصيدة ، غارقة إلى رقبتى ، وأنه ليس ثمة شىء ينفع الآن .

جارسان — (ممسكاً بكتفيها) حسنا ، إننى على أى حال أستطيع أن أشعر بالأسى نحوك أيضاً . . إنظرى إلى إننا عارين ، عارين تماماً ، إننى أستطيع أن أرى داخل قلبك .

وهذا شيء مشترك بيننا . هل تعتقدين أنني كنت أحب إيلامك ؟ . . إنني لا آسف لشيء ، لقد أصبحت جافاً جامداً أيضاً . . ولكن بالنسبة إليك ما زلت أستطيع الشعور بالشفقه .

أينز — (كانت قد تركت يديه حول كتفيها حتى الآن . تحاول أن تخرج كتفيها من بين يديه) ابتعد . إنني أكره أن ينحني عليّ الآخرون . . وأحتفظ بشفقتك لنفسك ولا تنسى يا جارسان أن هناك مصايد لك أيضاً ، في هذه الحجرة ، وضعت لك بشكل جميل . أفضل لك أن تراقب ما يخصك أنت) إيماءة) ولكن ، إذا تركتنا في سلام ، فان هذه الطفلة وأنا ، سأرى أنني لن أصيبك بأي ضرر

جارسان — (يحدق فيها لحظة ، ثم يهز كتفيه) حسناً جداً .

استل — (ترفع رأسها) أرجوك يا جارسان . .

جارسان — ماذا تريدين مني ؟

استل — (تقوم وتذهب إليه) إنك تستطيع أن تساعدني على أي حال .

جارسان — اذا أردت مساعدة فاطلبي منها .

(فى هذه اللحظة تقوم أينز وتقف وراء استل ، ولكن دون أن تلمسها ، جارسان لا يتكلم ، أما أينز فانها تهمس فى أذن استل موجهة اليها أسئلة طوال الحوار القادم ، ومع ذلك فان استل تظل ناظره الى جارسان ، حتى تجيب على الأسئلة كأنه هو الذى يسألها) . .

استل — إننى أرجوك ياجارسان . . لقد وعدتنى ، أليس كذلك؟ ساعدنى بسرعة ، إننى لا أريد أن أظل وحيده ، لقد أخذته أولجا الى كاباريه . .

أينز — أخذت من ؟

استل — بيتر . . . أوه ، إنهما ، الآن ، يرقصان سوياً .

أينز — من هو بيتر؟

استل — مجرد طفل . ولد تافه ، كان يسمينى فتاته المتلألئة . مجرد هوس ! لقد كان يحبنى بفظاعة . . لقد طاردته ايخرج معها هذه الليلة .

أينز — هل تحبينه ؟

استل — إنهما يجلسان الآن ، انها تنتفخ مثل الدرفيل . ياللغباوة . الفتاه تحاول أن ترقص معه ! انها تحاول أن تقبل . . . لا ، بالطبع ، اننى لا أحبه ، انه فى الثامنة عشره ، وانا

لست طفلة خطافة .

أينز — اذاً ، لماذا تقلقين عليها ! ماذا يهمك فى ذلك ؟

استل — إنه يخصنى .

أينز — لا شىء على الارض يخصك بعد ذلك .

استل — قلت لك إنه كان ملكى ، ملكى تماماً . .

أينز — نعم ، كان ملكا لك يوماً ما ، ولكن الآن — حاولى أن تجعليه يسمعك — حاولى أن تلمسيه ، أولجا تستطيع أن تلمسه ، كلميه كما تكلمه هى . هذا كل ما فى الأمر ، أليس كذلك ؟ إنها تستطيع أن تضغط على يديه ، وأن تضغط بصدرها على صدره .

استل — نعم ، إنظرى ! إنها تضغط بصدرها الضخم عليه ، وتنفخ فى وجهه ، ولكن يا حملى الصغير ، ألا تستطيع أن ترى كم هى مضحكة ، لماذا لا تضحك عليها ؟أوه ما كان على فقط إلا أن ألقى بنظرة خاطفة عليهما حتى أجعلها تتدهور . هل حقيقة أنه لم يعد لى أى شىء . . لم يعد أى شىء؟..

أينز — لا شىء إطلاقاً ، لا شىء منك بقى على الأرض —

ولا حتى ظلك . كلك تماماً هنا . هل تريدين سكينة الورق هذه ؟ أو هذا التمثال الذى على رف المدفئة ؟ إن هـذا المقعد الأزرق ملـكك ، وأنا ياعزيزتى ملـكك إلى الأبد .

استل — أنت لى.. جميل جداً ! حسنا ؛ أيكما أنتما الأثنين سيناديني بفتاته المتلألئة ، وإننى . . . بيتر يا عزيزى ، فكر فىّ ، ركز أفـكارك على ، وأنقذنى . لقد كنت تفـكر طول الوقت « فتاتى المتلألئة ، فتاتى البلورية » إن نصفى فقط هنا ، إن نصفى فقط هو الشرير ، ونصفى الآخر هناك معك . نظيف وطاهر وهو فى صفاء البلور ، ومثل الماء الرقراق . . . أوه ، إنظر فقط إلى وجهها ، مثل الطماطم ! لا ! إنها قبيحة ، لقد ضحكنا عليها سوياً ، أنت وأنا ، مراراً ؛ مراراً . . . ما هذه النغمة ، لقد كنت دائماً أحبها ؟ نعم ما يخوليا سانت لويس . . . حسناً ، أرقص ، أرقص . جارسان ، إننى أتمنى أن تراها ، ستموت من الضحك — إنها فقط سوف تعلم أننى أراها ، نعم إننى أراك يا أولجا ، بشعرك المنكوش وبطلائك ياعزيزتى . أوه والآن أنت تدوســين على

قدميه . صرخة مكبوتة ، أسرع ، بسرعة ! بسرعة !
إنه يجرها أمامه ، يراقصها .. ويدور معها .. إنه منظر
سخيف ، لقد كان يقول دائماً إننى خفيفة ، كان يحب
أن رقص معى . (ترقص وهى تتكلم) لقد قلت
لك يا أولجا إننى أستطيع أن أراك ، لا ، إنها لا تعبأ ،
إنها ترقص أمام ناظرى . ما هذا ؟ ما هذا الذى قلته ؟
استل صاحبتنا المسكينة ؟ أوه ، لاتكونى مثل الدجالين
إنك حتى لم تذرفى دمعة فى جنازتى . . . ولديها القوة
على أن تكلمه عن صاحبتها المسكينة إستل ! كيف
تجرؤ على الحديث عنى مع بيتر ؟ والآن ، انتظرى لوقت
آخر . إنها لا تستطيع أن ترقص وتتكلم فى وقت
واحد . أوه ، ما هذا . . . لا ، لا . . لا تخبريه أرجوك
أرجوك لا تقولى له ، فى استطاعتك أن تحتفظى به ، إصنعى
ما شئت معه ، لكن أرجوك لا تقولى له شيئاً عن هذا
(توقفت عن الرقص) حسنا . تستطيعين أن تحتفظى
به الآن . أليست هى غبية ، جارسان ؟ لقد أخبرته بكل
شىء عن روجر ، عشيقى فى سويسرا ، والطفل المسكين ..
إستل لم تكن تماماً . . . لا ، لم أكن تماماً . . .

حقيقة كافية . إنه يبدو رزيناً ، يهز رأسه ، ولـكنه
لا يبدوسعيداً بما فيه الـكفاية ، لا كما يتوقع الانسان..
احتفظى به إذا ـ لم أكن لأستطيع مناقشته وهو ينظر
إلى وجه فتاته . . أين أنا الآن . . فتاته المتلألئة .
بلورته ، الآن ، لقد تـكسر البلور . . مسكينة إستل !
ارقص ، ارقص ، معها ، ولـكن حافظ على الرقصة .
واحد . اثنين . واحد . اثنين . كم أتمنى أن أعود إلى
الأرض لحظة واحدة حتى أرقص معه ثانية . . (ترقص
ثانية بضع دقائق) تضعف الموسيقى . لقد أداروا الأنوار
مثلما يفعلون عند رقصة التانجو . لماذا يلعبون بنعومة ؟
أعلى ،أرجوكم. لا،لا أستطيع أن أسمع . إنها بعيدة جداً
بعيدة جداً . . أنا . . . لا أستطيع سماع أى صوت .
(تتوقف عن الرقص) لقد انتهى كل شىء . انها
النهاية . لقد تركتنى الأرض (لجارسان) لا تتحول
عنى ، أجوك ، خذنى بين ذراعيك .

(ومن وراء استل ، تشير أينز لجارسان أن يبتعد)

أينز — (بلهجة الآمر) الآن ، يا جارسان !

(جارسان يعود إلى الوراء خطوة ، ويشير إلى أينز وهو

ينظر إلى استل)

جارسان — يجب أن تقولى ذلك لها .

استل — (متعلقة به) لا تبتعد ، إنك رجل . ألست كذلك ، انني لست مخيفة إلى هذه الدرجة ! لقد قال كل واحد إن لى شعراً جميلا ، و ، على كل حال لقد قتل رجل نفسه من أجلى . إنك تنظر إلى أى شىء وليس هناك ما تراه هنا إلا الكراسى وهذا التمثال التافه على المنضدة . إن رؤيتك لى أجمل بالتأكيد من رؤيتك لكتلة الأثاث التافهة . اسمع ؛ لقد تملصت من قلوبهم مثل عصفور صغير وقع من عشه . إجمع شتاتى ، يا عزيزى ، إطونى بقلبك ـ وانظر كيف سأكون جميلة . .

جارسان — (يحرر نفسه منها ، بعد نضال بسيط) لقد قلت لك ، يجب أن توجهى حديثك لتلك المرأة .

استل — لها ؟ لكنها لا تصلح ، انها امرأة .

أينز — أوه ، أنا لا أصلح ؟ أهذا ما تقولينه ؟ لكن يا عزيزتى المسكينة الساقطة من العش ، لقد احتميت فى قلبى دهوراً ، إذاً فأنت لم تتحققى من ذلك . لا تخافى . سأظل أعتنى بك إلى أبد الآبدين ، دون أن أرمش بجفنى ، وستعيشين

تحت رعايتى مثل الذّرة تحت شعاع الشمس .

استل — شعاع الشمس ، حقيقة ! لا تتكلمى هذا الكلام الفارغ ! لقد حاولت هذه الخدعة قبلا ويجب أن تدركى أنها لا تصلح .

أينز — إستل ، يا فتاتى المتلألئة ، يا بلورتى .

استل — بلورتك ؟ ياللسخرية ، هل تعتقدين أنك تستطيعين أن تخدعينى بهذا القول ؟ ان كل واحد يعلم منذ الآن ماذا صنعت لطفلى . لقد تكسر البلور ، ولكننى لا أهتم . إننى دمية فارغة ، لقد بقى كل هذا عنى فى الخارج ، ولكنه ليس لك .

أينز — تعالى إلى يا استل ، ستكونين كما تشائين فتاة متلألئة أو قناة موحلة ، وهنا فى عينى ، سترين نفسك كما تريدين أن تكونى .

استل — أوه ، دعينى فى سلام . ليست لك عينان . أوه ياللعنة ، أليست هناك أية وسيلة أتخلص بها منك؟ إن لدى فكرة (تبصق فى وجه أينز) . . هكذا ! . .

أينز — جارسان ، إنك ستدفع ثمن هذا (إيماءة ، جارسان يهز لها كتفيه ويعمل مثل ذلك لإستل)

جارسان — إذاً ، فأنت تريدين رجلا ؟

إستل — ليس أى رجل . أريدك أنت .

جارسان — لا داعى للخداع . إن أى رجل سيرضيك . و بما أنتى أنا هنا الآن ، فإنك تشتهيننى . حسنا ! (يضغط على كتفيها) تعقلى ، إننى لست من النوع الذى تريدينه على الاطلاق ، حقاً ، إننى لست صغيراً أحمقاً ، كما أننى لا أرقص التانجو .

استل — سآخذك كما أنت ، وربما غيرتك .

جارسان — أشك فى ذلك . سوف لا أصغى إليك على الاطلاق لأن لدىّ أشياء أخرى أفكر فيها .

إستل — أى أشياء .

جارسان — إنها لا تهمك .

إستل — سأجلس على مقعدك وأنتظر قليلا حتى تملأ عينيك منى. إننى أعدك أننى لن أيضايقك .

أينز — (وهى تقهقه) حسنا ، تملقيه ، مثل العاهر التافهة تماماً . تذللى وتمسكنى ! إنه حتى لم يلق إليك بأية نظرة تغريك به .

إستل — (لجارسان) لا تستمع إليها . فليس لها عينان ، ولا

أذنان ، ولا أى شىء . .

جارسان — سأعطيك ما أستطيع . إنها لا تكلفنى كثيراً ، لكننى لن أحبك لأننى أعرفك جيداً .

إستل — هل ترغب فىّ على أى حال .

جارسان — نعم .

إستل — إننى لا أطمع فى أكثر من ذلك .

جارسان — فى هذه الحالة . . . (ينحنى عليها)

أينز — إستل ! جارسان ! لا بد أنكما جننتما . إنكما لستما وحدكما . إننى هنا أيضا .

جارسان — بالطبع ، لكن ماذا يهم ذلك ؟

أينز — أمــام عينى ؟ لا لن تستطيعا . . . لن تستطيعا أن تفعلا ذلك .

إستل — لم لا ؟ لقد كنت دائماً أخلع ملابسى فى وجود وصيفتى .

أينز — (وهى تشد ذراع جارسان) دعها وحدها . لا توسخها بيديك الرجاليتين القذرتين .

جارسان — (وهو يدفعها بعيداً عنه بخشونه) إحذرى إنى لست رجلاً مهذباً، انى لا أشعــــر بوخز الضمير إذا ضربت امرأة.

أينز — لـكنك وعدتنى ؛ أنت وعدت. انى لاأطلب إليك إلا أن تبر بوعدك .

جارسان — لماذا يجب على ، ثم انك ، أنت ، كنت أول من خرج على الإتفاق ؟

(أينز تدير ظهرها إليه وتتراجع إلى نهاية الغرفة)

أينز — حسناً ، إفعل ماتريد ،إننىأضعف منكما ، واحد مقابل اثنين . لـكن لا تنس أنى هنا ، ألاحظك ، لن أغمض عينى عنك ، ياجارسان . عندما تقبلها ؛ ستحس بهما يخرقان جسدك . فعلا ، إفعل ما تريد . . إفعل ماتريد وانته . إننا فى الجحيم ، وسيأتى دورى . (خلال المنظر الآتى تلاحظهما دون أن تتكلم) .

جارسان — (وهو يعود إلى استل وممسكاً بـكتفيها) والآن . شفتيك،أعطنى شفتيك .

(إيماءة . ينحنى ليقبلها ، ثم يقف فجأة)

إستل — (بغضب) حقيقة ! (إيماءة) ألم أقل لك لاتستمع إليها؟

جارسان — لقد أخطأت (صمت قصير) . . . إنه جومى .. لقدعاد ثانية إلى حجرة الجريدة . لقد أغلقوا النوافذ ؟ لا بد أن الشتاء هناك ، ستة أشهر منذ أن . . . حسناً لقدأنذرتك

أننى فى بعض الأحيان أفقد صوابى ، أليس كذلك ؟
إنهم يرتجفون من البرد وقد لبسوا معاطفهم من المصحك
أنهم يشعرون بالبرد هكذا فى حين أننى أشعر بالحر آه
. . . إنه الآن يتكلم عنى.

إستل — هل سيظل الحال هكذا طويلا ؟ (صمت قصير)
يمكنك على الأقل أن تخبرنى ، ماذا يقول .

جارسان — لاشىء ، لا شىء يستحق أن أعيده عليك . إنه خنزير
وحسب (يصغى بانتباه) ياللخنزير القذر . (يستدير إلى
استل) دعينا نعود إلى . . إلى أنفسنا . هل ستحبيننى ؟

استل —(تبتسم) إننى أعجب الآن !

جارسان — هل ستثقين فىّ ؟

استل — شىء ظريف هذا الذى تسألنى إياه ! إنك ستكون
تحت عينىّ طوال الوقت وهذا كل شىء ، ثم إننى لا أخشى
الكثير من ناحية أينز .

جارسان — بوضوح (إيماءة ، يرفع يديه من فوق كتفيها)لقد كنت
أفكر فى نوع آخر من الثقة . (يستمع) تكلم . تكلم
أيها الخنزير . إننى لست معك لأدافع عن نفسى
(لاستل) استل لا بد أن تمنحيننى ثقتك .

استل — أوه ، يالك من مقلق للراحة ! لقد أعطيتك فمى، ذراعى، جسدى كله . . وكل شىء تجده فى يدك بمنتهى السهولة . . . ثقتى ! ليس لدى شىء أمنحه ، إننى خائفة ، وأنت تحيرنى بشكل مزعج . أمن الواجب أن أصرخ وأصنع ضجة معلنة ثقتى بك .

جارسان — لقد أطلقوا علىّ النار .

استل — أعرف ، لأنك رفضت أن تحارب . حسناً ، لماذا لم تفعل ؟

جارسان — إننى . . . إننى بالضبط لم أرفض . (بصوت كأنه آت من بعيد) يجب أن أعترف بأنه يتكلم جيداً ، وأنه يخلق تماماً موقفاً ضدى ، ولكنه لا يقول ماذا كنت أستطيع أن أفعل بدلاً من ذلك، أ كان على أن أذهب للجنرال وأقول له : « أيها الجنرال ، إننى أرفض أن أقاتل » ؟ يالها من لعبة : لقد سدوا الطريق أمامى سريعاً ، لكننى أردت أن أريهم إتجاهاتى ، إتجاهاتى الحقيقية، هل تفهمين ، لم أ كن أنوى أن أسكت (لإستل) وهكذا أخذت . . . أخذت القطار . . . وكان أن أمسكوا بى فى الخطوط الأمامية .

استل — أين كنت تنوى الذهاب ؟

جارسان — إلى المكسيك ، كنت أنوى إداره جريدة محايدة هناك
(صمت قصير) هه ، لماذا لا تتكلمين ؟

استل — ماذا أقول ؟ لقد قمت بدورك خير قيام لأنك ابتعدت عن القتال .
(جارسان يفكر وقد ارتسمت على وجهه علامات الغضب)
ولكن يا حبيبى ، كيف تطلب منى أن أخمن الجواب الذى تريده أنت؟

أينز — ألا تستطعين التخمين ، حسناً ، أنا أستطيع ، إنه يريد منك أن تجيبى بأنه هرب مثل الأسد .. لأنه « هرب » فعلا ، وهذا هو الذى يزعجه .

جارسان — « هربت » ، « جريت » — إننا لا نتشاجر من من أجل الكلمات .

استل — ولكن كان عليك أن تهرب، لأنك إذا كنت بقيت لكانوا زجوا بك فى السجن أليس كذلك ؟

جارسان — بالطبع (إيماءة) حسناً يا استل ، هل أنا جبان ؟

استل — كيف أقول ذلك ؟ . . . لا تتكلم بلا فائدة ، إننى لا أستطيع أن أدخل نفسى فى جلدك . . يجب أن تقرر

ذلك بنفسك .

جارسان — (بتعب) لا أستطيع أن أقرر .

إستل — على كل حال ، يجب أن تتذكر ، لابد أنه كانت لديك الأسباب التى دفعتك إلى ما صنعت . .

جارسان — فعلا كانت لدى .

إستل — أكيد ؟ .

جارسان — لكن ، هل كانت هذه هى الأسباب الحقيقية ؟

إستل — إن لك عقلا متزعزعاً ، وهذا هو مصدر قلقك ، إنك تتعب نفسك بالتفكير فى أشياء تافهة !

جارسان — لقد تركت التفكير فى أى شىء ، لأننى أريد أن أستريح . ولكن ، هل كانت هى الدافع الحقيقى ؟

أينز — هذا هو السؤال بالضبط . هل كان ذلك هو دافعك الحقيقى ؟ ما من شك فى أنك ناقشت كل شىء مع نفسك ، وأنك وازنت بين كل الاحتمالات ، وأنك وجدت أسباباً تدفعك إلى ما فعلت . بيد أن الخوف والحقد وكل البواعث القذرة التى تزحف فى الظلام ، كانت أيضاً بعض هذه الأسباب . ولذلك ، يجب أن تتكلم يا مستر جارسان ، يجب أن تحاول أن تكون

صادقاً مع نفسك مرة واحدة .

جارسان — هل أنا فى حاجه إليك لتخبرينى بذلك ؟ كنت أدور فى حجرتى ، من النافذة الى الباب ، ومن الباب الى النافذة . صليت فى قلبى ، وبحثت فى نفسى ، وتأملت باطنى ، ولكننى كنت دائماً أعود الى شىء واحد ، وهو أنه كان يجب أن أفعل مثلما فعلت ، وأن أستقل هذا القطار إلى الخطوط الأمامية ، ولكن لماذا ، لماذا ، فى النهاية فكرت ..أن موتى سيقرر ذلك . . إننى إذا واجهت الموت بشجاعة ففى هذا إثبات بأننى لست جباناً

أينز — وكيف واجهت الموت ؟ . .

جارسان — يائسا ، ميتاً (أينز تضحك) أوه . . . لقد كانت فقط حالة فيزيائية مثلما يمكن أن يحدث لأى شخص ، اننى لست خجلا من هذه الحالة . ولكن كل الذى بقى منى هو الشك ، الشك إلى الابد . . (لا ستل) تعالى ، هنا يا استل ، انظرى الى أريد أن أحس شخصاً ينظر الى بينما هم يتكلمون عنى على الأرض . . . اننى أحب العيون الخضراء . .

أينز — العيون الخضراء ! استمعى له.. وأنت يا استل ، أتحبين

الجبناء ؟

استل — إنى لا أهتم .. جبان أو بطل : انهما سواء لدى، شيء واحد أعرفه، أنه يقبلنى جيداً .

جارسان — ها هم هناك قابعون فى مقاعدهم ، يحصـــون سجائرهم و ينظرون وهم نصف نائمين . انهم يفكرون : جارسان جبان . أفكارهم غامضة كأنهم يحلمون .. لقد جاءت أحدهم فكرة .. إن جارسان كان جباناً .. هـذا ما قرروه ، هؤلاء الأصدقاء الأعزاء . وفى خلال ستة أشهر أخرى سيقولون « جبان مثل جارسان اللعين » إنك سعيد أنت الآخر ، فلا أحد على الأرض يعطيك فكرة أخرى ، ولكن أنا — إننى مت منذ وقت طويل .

أينز — وماذا عن زوجتك يا جارسان ؟

جارسان — آه ، ألم أقل لك ، لقد ماتت ..

أينز — ماتت ؟

جارسان — نعم ، ماتت ، الآن فقط ، منذ حوالى شهرين .

أينز — من الحسرة ؟

جارسان — لماذا تموت إذاً... إذا لم تمت من الحسرة؟ وهكذا أرأيت

إن كل شيء في الصالح .. انتهت الحرب ، ماتت زوجتي وقد نقشت اسمي في مكانه من التاريخ .

(ينشج باكياً ويضع يده على وجهه . استل تمسك بذراعه) .

استل — حبيبي المسكين ! انظر إلى . أرجوك أن تنظر . إلمسني ، إلمسني . (تمسك يده وتضعها على رقبتها) هنا ! دع يدك هنا . (جارسان يأتي بحركة تدل على الضيق) لا . لا تتحرك ، لماذا تقلق بالك بهؤلاء الذين يفكرون . إنهم سيموتون واحداً بعد الآخر . . أما الآن ، فليس أمامك إلا أنا . .

جارسان — ولكنهم لن ينسوني ، لن ! سيموتون ولكن آخرين سيأتون بعدهم ويحملون الفكرة . . لقد تركت مصيري في أيديهم .

استل — إنك تفكر كثيراً ، وهذه هي مشكلتك .

جارسان — وماذا غيرذلك يمكنني أن أفعل الآن ؟ لقد كنت يوماً ما رجل عمل . . . أوه ، لو كنت أستطيع فقط أن أكون معهم ثانية ، يوماً واحداً ، إنهم يقاضونني كل يوم دون أن يقلقوا من أجلي ، وهم على حق لأنني ميت . مت

وانتهى أمرى (يضحك) شيء مضحك . .

استل — (بلطف) جارسان . .

جارسان — ما زالوا هناك ؟ اسمعى الآن ! إننى أرجوك أن تؤدى لى خدمة . لا . لا تبتعدى . إننى أعلم أنه من الغريب بالنسبة إليك أن يطلب منك شخص مساعدته ، لأنك لم تخلقى لهذا . . ولكن ، إذا حاولت أن تبذلى فقط مجهوداً . . إذا كانت لديك العزيمة الأكيدة ، فإننى أستطيع أن أؤكد أننا سنحب بعضنا . . انظرى إلى الفكرة من هذه الزاوية . إن ألفاً منهم يعلنون أننى جبان ؛ ولكن ، ماذا يهم العدد ؟ إذا كان هناك ثمة شخص واحد .. واحد يستطيع أن يؤكد أننى لم أهرب ، وأننى لست من ذلك النوع الذى يهرب ، وأننى شجاع ومهذب ، وغير ذلك .. حسناً .. إن روح هذا الإنسان تنقذنى . هل أنت هـذا الشخص ؟ إذا كنت فإننى سأحبك وأدللك إلى الأبد . استل . . قولى أنك مؤمنة بى ؟

استل — (تضحك) أوه — أيها الرجل التافه العزيز . هل تعتقد أننى أستطيع أن أحب جباناً ؟

جارسان — ولـكنك الآن قلت . . . . . .

استل — إننى أغيظك فقط . . إننى أحب الرجال الذين هم ، يا عزيزى ، رجال حقيقة ، الذين لهم بشرة خشنة وأيد قوية .. أنت ، ليست لك ذقن جبان ، ولا فم جبان ، أو صوت جبان ، أو شعر جبان . ومن أجل فمك وشعرك وصوتك ، أحبك . .

جارسان — هل تعنين ما تقولين . . حقاً ؟

استل — أيجب أن أقسم ؟

جارسان — إذاً : فأنا أضع أصابعى فى أعينهم جميعاً ، هؤلاء الذين على الأرض والذين هنا . استل ، إننا سنتسلق النار ونخرج (أينز تقهقه . يقطع كلامه ويحملق فيها) ما هذا ؟

أينز — (ما زالت تضحك) ولـكنها لا تعنى أية كلمة مما تقوله . كيف يمكن أن تـكون ساذجاً هكذا ؟ « استل ، هل أنا جبان ؟ »

استل — أينز ، كيف تجرؤين ؟ (لجارسان) لا تستمع إليها . إذا أردت أن أومن بك فلا بد أن تثق بى .

أينز — هذا صحيح ! هذا صحيح ! ثق بها ! إنها تريد رجلا ، وهذا من أجل أن تثق بها — إنها تريد ذراع رجل

حول خصرها ، ورائحة رجل ، وعينى رجل تلمعان بالرغبة .. وهذا هو كل ما تريده .. لقد كان فى مقدورها أن تؤكد أن لك قدرة إله ، لو علمت أن ذلك سيدخل على نفسك السرور .

جارسان — استل ، هل هذا صحيح ؟ أجيبينى ، أهذا صحيح ؟

استل — ماذا تتوقع منى أن أقول ؟ ألا تجـدها على درجة من الجنون حتى إنها تجيب على أسئلة ليست لى أية علاقة بها ؟ (تضغط بقدمها) إنت تصعب الأشياء . . . على كل حال ، سأحبك مهما كان ، حتى لو كنت جباناً . أليس فى هذا الـكفاية ؟ (إيماءة قصيرة)

جارسان — (للمرأتين) إنـكما تحتقرانى ، كلا كما . (يذهب فى اتجاه الباب)

استل — ماذا تنوى أن تفعل ؟

جارسان — إننى ذاهب ؟

أينز — (بسرعة) لن تذهب بعيداً ، فإن الباب مغلق .

جارسان — سأجعلهم يفتحونه . (يضغط على زرار الجرس ولـكن الجرس لا يدق)

استل — أرجوك ، أرجوك . .

أينز — (لإستل) لا تقلقى ياقطتى .. إن الجرس لا يدق ..

جارسان — قلت لك إنهم سيفتحون .(يقرع الباب) إننى لا أستطيع أن أحتمل أطول من ذلك ، لقد يئست منكما .. (إستل تجرى إليه ، يدفعها بعيداً) ابتعدى .. حتى أنت أغبى منها .. لن أدع نفسى محتقراً فى نظريكما . إنك ناعمة وزلقة، أخ، (يقرع الباب ثانية) مثل الأخطبوط، مثل المستنقع .

إستل — أرجوك ،أرجوك . لا تتركنى. .سأعدك ألا أتكلم ثانية. لن أسبب لك مضايقات مرة أخرى .. ولكن لا تذهب إننى لا أجرؤ على البقاء وحيدة مع أينز . لقد أظهرت الآن مخالبها .

جارسان — اعتنى بنفسك ، إننى لم أسألك أبداً أن تأتى إلى هنا .

إستل — كيف تقول ذلك ؟ حقا ، إنك صحيح كما قيل عنك ... جبان . . .

أينز — (ذاهبة إلى إستل) حسناً ياعصفورتى الصغيرة الساقطة من العش ، آمل أن تكونى قد استكفيت الآن ، لقد بصقت فى وجهى لتلعبى عليه ، بالطبع ، وقد أخذت

البصقة من أجله . ولكنه ذاهب ، وسيكون خلاصاً جميلا .. سنأخذ نحن المرأتين المكان لنا .

إستل — لن تكسب شيئاً إذا فتح هذا الباب . . إننى ذاهبة أنا أيضاً .

أينز — إلى أين ؟

إستل — لا يهمنى إلى أين ، إلى أبعد مكان عنك بقدر ما أستطيع

(جارسان كان يقرع الباب وهما يتكلمان) . .

جارسان — إفتحوا الباب ، إفتحوا ، سأحتمل أى شىء ، ألسنتكم الحمراء الملتهبة ، وحديدكم المنصهر . . أحجاركم وجمركم ولهيبكم . . كل آلاتكم الشيطانية ، كل ما يحرق ويلهب ويثير الدمع — سأكون تحت يد أى معذب تختارونه .. أى شىء ، أى شىء سيكون أفضل من هذا الموت العقلى . . من الألم الزاحف الذى يقرض ويعذب ولا يصيب بما فيه الكفاية . . (يقرع الباب ويخبطه) والآن ، هل ستفتحون ؟ (يفتح الباب فى حركة سريعة تصحبها هزة حتى يكاد يقع على الأرض)

آه !

. . . . (صمت طويل)

أينز — حسنا ، ياجارسان ؟ . . . إنك حرٌ فى أن تذهب .

جارسان — (يفكر) والآن ، أنا أعجب لماذا فتح الباب .

أينز — ماذا تنتظر ، أسرع واذهب .

جارسان — لن أذهب .

أينز — وأنت يا إستل ، (إستل لاتتحرك . أينز تنفجر ضاحكة)
إذاً ماذا ؟ ماذا سيكون ؟ من منا نحن الثلاثة سيرحل ؟
إن الحاجز أسفل ، لماذا تنتظر ؟ . . . ولكن ، ياله من
موقف ! إنها مصادفة ؟ إننا . . . غير منفصلين ؟
(إستل تجرى وتقف وراءها)

إستل — غير منفصلين ؟ جارسان . تعال وناولنى يدك . بسرعة ،
سندفعها إلى الخارج ونغلق الباب دونها . . إن هذا
سيعطيها درساً .

أينز — (تتشاجر مع إستل) إستل ، أرجوك ، دعينى أبقى .
لن أذهب . لا لن أذهب إلى الممر .

جارسان — دعيها .

إستل — إنك مجنون ، إنها تكرهك .

جارسان — إننى سأبقى هنا من أجلها .

(إستل تترك أينز ، وتلقى نظرة خرساء على جارسان)

أينز — من أجلى (إيماءة) حسنا ، حسنا ، إقفل الباب ، إنها أحرّ عشر مرات منذ أن فتح هذا الباب . (جارسان يذهب إلى الباب ويغلقه) قلت من أجلى ؟

جارسان — نعم ، فأنت على أى حال تعلمين ماذا يعنى أن يكون الإنسان جباناً .

أينز — نعم ، أنا أعلم .

جارسان — وأنت تعلمين ماهو الشر ، والخجل ، والخوف . لقد جاء يوم جعلك تنظرين إلى نفسك ، وإلى الأماكن السرية فى قلبك ، وقد أغمى عليك من الخوف عندما رأيت ما فيه . وفى اليوم التالى لم تعرفى ماذا تصنعين به ، إنك لا تستطيعين أن تزيلى الخوف الذى شعرت به فى اليوم السابق . نعم ، أنت تعرفين ماذا يكلف الشر ، وعندما تقولين إننى جبان فأنت تعلمين من الخبرة ماذا يعنى ذلك . أليس كذلك ؟

أينز — نعم .

جارسان — إذاً فهو أنت التى أردت أن أقنعها ، إنك من نفس نوعى ، هل تعتقدين أننى انتويت الرحيل ؟ لا ، لم أكن أستطيع أن أتركك هنا تتطلعين إلى انهزامى بكل تلك

الأفـكار التى تجرى فى رأسك .

أينز — هل تريد حقاً أن تقنعنى ؟

جارسان — هذا هو الشيء الوحيد الذى أريده الآن ، إننى لا أستطيع أن أسمعهم أ كثر من ذلك كما تعرفين . ربما هذا يعنى أنهم قد انتهوا منى ، لقد انسدل الستار فلم يبق منى شيء على الأرض ، ولا حتى اسم « الجبان » . ولذا يا أينز ، فنحن وحدنا ، لم يبق سوا كما من لديه أفـكار عنى . أما هى فلا تعلق على شيء ، لـكنك أنت . . أنت هو السؤال . أنت التى تـكرهيننى ، إذا أنت آمنت بى فسأ كون قد أنقذت .

أينز — قد لا يـكون هذا سهلا ، انظر إلى ، اننى امرأة ذات رأس جامد .

جارسان — سأهبك كل الوقت الذى أحتاج إليه لاقناعك .

أينز — نعم ، فإن لدينا وقت كثير . . كل الوقت .

جارسان — (وهو يضع يديه على كتفيها) اسمعى ؟ ان لـكل رجل هدفاً فى الحياة ، دافع يقوده ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لم يـكن هدفى الغنى ، ولا الحب ، كنت أقصد أن أ كون رجلا حقيقياً . خشن كما يقولون . جازفت

بكل شىء من أجل هذا الهدف . . . هل يمكن أن
يكون الانسان جباناً عندما يخاطر بكل شىء مرة واحدة .
وهل يمكن أن يحكم الانسان على الحياة كلها من
أجل حادث واحد ؟ . .

أينز — لم لا ؟ ثلاثون عاماً وانت تحلم أنك كنت بطلا ،
وصفحت عن آلاف الزلات والهفوات — بالطبع ، لتكون
بطلا ، وافترضت أنك لم تصنع خطأ . . منهج سهل
بصراحة . ثم جاء اليوم الذى وقفت فيه أمام أنوار
الخطر الحقيقى الحمراء — وأخذت القطار الى مكسيكو .

جارسان — « أننى حلمت » . لم يكن حلماً . عندما اخترت الممر
الصعب كنت قد اخترته بحرية ، إن الرجل هو ما يعتزم
أن يقدم على أن يكونه . .

أينز — أثبت ذلك . أثبت انه لم يكن حلماً . لقد كان هو
الذى فعلته ولا شىء غير ذلك . . وهذا يظهر تماماً الطينة
التى صنعت منها .

جارسان — لقد مت فى الحال . . . لم يسمح لى بالوقت بـ . . .
بأن أقوم بأعمالى .

أينز — دائماً يموت الانسان حالا — أو يتأخر كثيراً ، وأيضاً

تـكون حياة الإنسان كلها فى هذه اللحظة (تعنى اللحظة التى يموت فيها) تتركز أهداف الإنسان فى الحياة بخط رسم بدقة تحتها ، استعداداً لبلوغ الذروة ، إنك ، حياتك ، ولا شىء غير ذلك .

جارسان — يالك من امرأة سامة ! تملك الجواب عن كل شىء .

أينز — الآن ، لا تفقد قلبك ، لم يـكن من الصعب إقناعى .. إجمع شتات نفسك أيها الرجل (جارسان يهز كتفيه) آه ، ألم أكن على حق عندما قلت إنك قابل للانتقاد ؟ والآن ستـدفع أنت الثمن ، وأى ثمن ؟ إنك جبان ياجارسان لأننى أريد ذلك . أريد ذلك ، أتسمعنى ؟ أريد ذلك . وفعلا ، انظر إلىّ فقط ، انظر كم أنا ضعيفة ، مجرد نفس فى الهواء . نظرة تراقبك ، فـكرة بلا تـكوين تفـكر فيها (يمشى إليها فاتحاً يديه) آه ، لقد فتحتا الآن . هاتين اليـدين الـكبيرتين . هاتين اليدين الخشنتين .. يدى رجل ؟ لـكن ماذا تأمل أن تفعل ؟ إنك لا تستطيع أن تخنق الأفـكار بالأيدى .. ولذلك فليس لك أن تختار .. لا بد أن تقنعنى .. بينما أنت تحت رحمتى ..

إستل — جارسان !

جارسان — ماذا ؟

إستل — انتقم لنفسك

جارسان — كيف ؟

إستل — قبلنى يا حبيبى ـ وعندئذ ستسمع صراخها .

جارسان — هذه حقيقة .. يا أينز ؛ إننى تحت رحمتك ؛ ولكنك أيضاً تحت رحمتى كذلك .

(ينحنى على أسفل ، أينز يصدر عنها صرخة صغيرة)

أينز — آه ، أيها الجبان ، أيها الضعيف ، تجرى إلى النساء لتعزى نفسك !

استل — هذا حقيقى ، ياأينز ، اصرخى .

أينز — يالكما من زوج جميل ! آه ، ألا ترين يده الحيوانية الكبيرة الممتدة على ظهرك وهى تحك جلدك وتمزق الحرير . . إحذرى فإنه يعرق الآن وسيترك أثراً أزرق على ثوبك .

إستل — اصرخى ، يا أينز ، اصرخى ! ... ضمّنى قوياً ، ياحبيبى . ضمنى بقوة أكثر . . أكثر . . . إن هذا سيفنيها تماماً ، ثم إنه شىء لذيذ ! . .

أينز — نعم ، ياجارسان إنها على حق . . أكمل عمليتك معها ، ضمها إليك حتى تشعر أن جسديكما يذوبان بعضهما فى بعض كتلة من الدفء ؛ لحم مختلج ... إن الحب عزاء كبير ، أليس كذلك يا صديقى؟ عميق ومظلم مثل النوم ، ولكننى سأرى أنك لا تنام .

(جارسان يتحرك بخفة)

إستل — لا تستمع إليها . إضغط شفتيك على فمى . أوه ، إننى ملكك . . ملكك . . ملكك . .

أينز — حسناً ، ماذا تنتظر ؟ إفعل كما أمرت . ياله من منظر جميل . . الجبان جارسان يحمل فى يديه الآدميتين الطفلة القاتلة استل ! عاهدا بعضكما أنتما الاثنين . . هل سيقبل جارسان المرأة أم إنه لن يجرؤ؟ ماهو الرهان؟ إننى أراقبكما ، الجميع كلهم يراقبون ، إننى أنا الجميع بنفسى ، هل تسمعون الجميع ؟هل تسمعهم يغمغمون ياجارسان ؟ يتهامسون ويغمغمون « جبان ! جبان ! جبان ! جبان ! » ـ هذا مايقولونه ... إنه لا فائدة من محاولة الهرب ، لن أدعك تذهب .ماذا تأمل أن تنال من شفتيها التافهتين؟ النسيان ؟ ولكننى لن أنساك . . لا . . لن أنساك ! « إننى أنا

التى يجب أن تقنعنى» . إذاً تعال إلى. إننى أنتظر . تعال إلىّ الآن . . . إنظرى كم هو مطيع ، كأنه كلب أليف يأتى عنـدما تناديه سيدته . إنك لن تستطيعى حمله. ولن تستطيعى .

جارسان — ألن يأتى الليل ؟

أينز — لن . .

جارسان — هل سترينني دائماً ؟

أينز — دائماً . .

(جارسان يتحرك من فوق استل ، يمشى بعض الخطوات. عبر الحجرة ، يذهب إلى التحفة البرونزية) .

جارسان — هذا البرونز . (يضر بها بلا تفكير) نعم ، الآن هو الوقت. إننى أنظر إلى هذا الشىء على رف المدفئة ،وأدرك أننى فى النار . لقد قلت لـكما إن كل شىء قد أعد إعداداً تاماً قبل أن نأتى إلى هنا . لقد علموا أننى سأقف هنا إلى جانب المدفأة أضرب هـذا الشىء البرونزى وأن كل هـذه الأعين ستنصب علىّ تريد أن تلتهمنى . (يستدير إلى الخلف فجأة) ماذا ؟ أنتما فقط ؟ ظننت أن هنـاك أكثر ، أكثر بـكثير . (يضحك) إذاً ، فهـذه هى.

النار . لم أكن أرضى بها أبداً . إنكم تعلمون أننا
قد سمعنا أنه سيكون هناك حجرات للتعذيب ، النار
والحجر ، والجير المحروق . . قصص الزوجات العجائز
ليس ثمة ضرورة لمحركى النار الحمراء الملتهبة . جهنم هى
الناس الآخرون !

استل — حبيبى أرجوك . . .

جارسان — (مبعداً إياها) ،لا ،دعينى أكون . إنها بيننا .لاأستطيع
أن أحبك وهى تراقبنا .

استل — حسناً ، فى هذه الحالة سأوقف مراقبتها لنا .

(تنتزع سكينة الورق من فوق النضدة ، تجرى إلى أينز
وتطعنها عدة طعنات)

أينز — (تصارعها وهى تضحك) ولكن أيتها المخلوقة المجنونة
ماذا تظنين أنك تفعلين ، إنك تعلمين تماما أننى ميتة .

استل — ميتة ؟

(ترمى السكين ـ إيماءة . أينز تلتقط السكين وتطعن
نفسها بها عدة مرات)

أينز — ميتة ! ميتة ! ميتة !السكاكين ، السم ، الحبال ، كلها
عديمة الفائدة . لقد حدث مرة وانتهى الأمر وإلى الأبد -

ولذلك فنحن هنا ، إلى الأبد . .

جارسان — (ينظر إلى المرأتين يشاركهما فى ضحكهما) إلى الأبد..
إلى الأبد . . إلى الأبد . .

(يذهبون إلى مقاعدهم المحترمة . صمت طويل . تموت
ضحكاتهم ، ويحملقون فى بعضهم) .

جارسان — حسنا ، حسنا ، دعونا نواصل هنا . . .

« ستـــار »



چان پول سارتر

الحائط

ترجمها : طاروح فوده

قذفوا بنا إلى قاعة كبيرة بيضاء ، و بدأت عيناى تطرفان بعد أن أذاهما الضوء . . رأيت منضدة ، وأربعة رجال خلفها ، رجال فى ملابس مدنية يتطلعون إلى مجموعة من الأوراق بينما يحتجزون وراءهم مجموعة أخرى من المساجين ، وكان علينا أن نعبر الحجرة بطولها لننضم إليهم كان بينهم الكثير ممن أعرفهم وبعض الغرباء الآخرين . أما الرجلان اللذان وقفا فى مواجهتى فكانا شقراوين. لهما جمجمتان مستديرتان .وقد بقى أصغرهما يربط سراويله بعصبية .

وبقينا هكذا ثلاث ساعات تقريباً ؛ وأصابنى دوار فى حين كانت رأسى فارغة ؛ ولكن الحجرة كانت ساخنة بما فيه الكفاية مما أدخل السرور إلى نفسى ؛ ففى خلال الأربع والعشرين الساعة الأخيرة لم نتوقف عن الانتفاض من شده البرد . .وكان الحراس يدفعون بالمساجين إلى المنضدة واحداً بعد الآخر..وسأل الرجال الأربعة كل واحد عن إسمه ووظيفته . ولم يطيلوا عن ذلك فى معظم الأحيان – أو ربما سألوا ببساطة سؤالا عابرا: « هل كانت لك علاقة بالتخريب الانتقامى أو المهمات الحربية ؟ » أو « أين كنت صباح اليوم التاسع وماذا كنت تصنع ؟ » ولم يكونوا يستمعون إلى الإجابات ، أو على الأقل لم يكن يبدو عليهم أنهم يفعلون. كانو يهدأون لحظة ثم ينظرون رأساً إلى الواقف أمامهم

ثم يكتبون . وسألوا « توم » عما إذا كان صحيحا أنه كان فى اللواء الدولى ، ولم يستطيع « توم » أن ينكر بسبب الأوراق التى وجدوها فى معطفه . ولم يسألوا « جوان » عن أى شىء ، ولكنهم ظلوا يكتبون وقتا طويلا بعد أن أخبرهم باسمه .

وقال جوان « إن أخى جوزيه فوضوى ضد الحكومة .. إنكم تعلمون أنه ليس هنا الآن . إننى لا أنتمى لأى حزب ، ولم يكن لى أية علاقة بالسياسة أبداً .. ولم يجيبوا بشىء ! ..

واستمر جوان يقول ، « إننى لم أفعل شيئا . إننى لا أريد أن أدفع الثمن عن أناس آخرين » .

وارتجفت شفتاه ، وأسكته أحد الحراس ثم جره إلى الخارج . وكان دورى أنا ..

ـ « اسمك بابلو إيبيتا ؟ »

ـ « نعم »

ونظر الرجل إلى الأوراق ثم سألنى عن جوزيه .

ـ « لا أعرف »

ـ « لقد أخفيته فى بيتك من اليوم السادس حتى اليوم التاسع عشر »

ـ « أبداً »

وكتبوا بعض الكلمات ، ثم أخذنى الحراس إلى الخارج ، وفى الممر ، كان توم وجوان ينتظران بين اثنين من الحراس . وبدأنا نسير ، وسأل

توم أحد الحراس :

— « هكذا ؟ »

واستفسر الحارس

— « هكذا ماذا » ؟

— « هكذا كان اختبار المرور ، أو الحكم ؟ » . .

وقال الحارس :

— « الحكم ؟ »

— « ماذا نوون أن يصنعوا بنا ؟ »

وأجاب الحارس بجفاف . .

— « ستقرأ الحكم فى زنزانتك ! . . »

والواقع أن زنزانتنا كانت واحدة من أقبية المستشفيات . كانت شديدة البرد بسبب الفتحات . وارتعدنا طوال الليل ، ولم تكن الحال أحسن كثيراً طوال اليوم . فقد أنفقت الأيام الخمسة السابقة فى زنزانة فى أحد الأديرة ، نوع من فجوات الحوائط مما لابد أن يرجع تاريخه إلى العصور الوسطى ، ولما كان هناك كثير من المساجين وقليل من الحجرات ، فقد حبسونا فى أى مكان . ولم أستوحش لزنزانتى ؛ فمع أننى لم أقاس كثيراً من البرد إلا أننى كنت وحيداً ؛ وبمرور الوقت أصبحت هذه الوحدة مثيرة للسخط . أما فى هذا القبو فكان بصحبتى

آخرون . كان جوان يتكلم بصعوبة . . كان خائفاً جداً، وكان أصغر بكثير من أن يكون لديه ما يقوله . أما توم ، فقد كان كثير الكلام إلى جانب إجادته للأسبانية .

وفى القبو وجدنا دكة وأربعة أبراش . وعندما أخذونا ثانية جلسنا وانتظرنا فى هدوء . وبعد إيماءة طويلة قال توم : « لقد ضعنا » . .

وقلت :

— « أشعر بهذا فعلا ، ولكننى أعتقد أنهم لن يمسوا الصغير » . .

وقال توم

— « ليس لديهم شىء ضده ، إنه أخ لجندى مرابط وهذا كل شىء » . .

ونظرت إلى جوان ، لم يبد عليه أنه يسمع . وواصل توم كلامه :

— « هل تعلم ماذا يصنعون فى ساراجوسا ؟ إنهم يرغمون الرجال على أن يرقدوا فى الطريق ليدوسوهم باللوريات . لقد أخبرنا بذلك أحد المراكشيين الماربين ، وقالوا إن هذا لتوفير الذخيرة الحربية » .

وقلت :

— « ولكن هذا لا يوفر البنزين . »

وضايقنى كلام توم .. فلم يكن يصح أن يقول ذلك . ومع هذا فقد استمر فى كلامه ، « ثم إن مجموعة من الضباط كانوا يمشون فى الشــــارع للملاحظته ، كما كانوا يضعون أيديهم

فى جيوبهم ويدخنون السجائر وهل تعتقد أنهم يجهزون على الغلمان ؟
لا ، بحق الجحيم . لقد تركوهم يصرخون . . ساعة كاملة أحياناً ! . .
وقد قال المراكشى إنه كاد يقئ فى المرة الأولى » .

وقلت :

— « إننى لا أتصور أنهم يفعلون هذا هنا ، إلا إذا كانوا فعلا يعانون من نقص الذخيرة » .

وبدأت معالم يوم جديد تظهر بين أربع فتحات هوائية صغيرة ، وفتحة مستديرة صنعوها هم بأنفسهم فى النصف الأيسر للسقف ، تستطيع أن ترى السماء خلالها . ومن خلال هذه الفتحة ، التى يمكن إغلاقها بوساطة غطاء حديدى وضعوا حملا من الفحم الحجرى فى القبو تساقطت أتربته من خلالها مكونة كوماً كبيراً تحت الفتحة مباشرة ، وكان هذا الفحم فى البداية يستخدم فى تدفئة المستشفى ولكن منذ قيام الحرب ، وإجلاء المرضى ، بقى الفحم مكانه ، بلا استعمال ، كان يختلط فى بعض الأحيان بماء المطر لأنهم نسوا إغلاق الغطاء الحديدى ..

وبدأ توم يرتعد . .

— « شكراً يا عيسى المسيح أننى بردت »

ثم أضاف :

— « لقد بدأت من جديد »

ونهض ، و بدأ يؤدى بعض التمرينات الرياضية ، وفى كل حركة كان قميصه يكشف عن صدره الأبيض الكثيف الشعر .. كان يرقد على ظهره ، ويرفع رجليه فى الهواء ويحركهما فى شكل دائرى . ورأيت بطن ساقه الضخم يرتعش . كان توم خشنا ولكن تكسوه طلعة رائعة . وتخيلت طلقات المسدس أو أطراف الرمح الحادة التى ستغوص فى جسده المكتنز كما تغوص سكين فى قالب زبد ! وكان من المحتمل ألا يراودنى هذا الشعور لو أنه كان يميل إلى النحافة أكثر !..

ولا أستطيع على وجه التحديد أن أقول إننى شعرت بالبرد ولكننى لم أكن أشعر على الإطلاق بوجـــود ذراعى وكتفى . . وفى بعض الأحيان كان يراودنى إحساس غريب .. لقد كنت أحس كأنى قد فقدت شيئا ما . . وبدأت أنظر حولى باحثاً عن معطفى أو كأننى تذكرت فجأة أنهم لم يسلمونا معاطفنا ، وشعرت بعدم الارتياح ، لقد أخذوا منا كل ملابسنا ، وأعطوها لجنودهم ولم يتركوا لنا سوى القمصان التى ارتدينا فوقها ملابس المستشفى الخفيفة التى كان المرضى يرتدونها فى منتصف الربيع .

وبعد قليل نهض توم وجلس بجوارى وأخذ يتنفس بعمق .

« هل هنا أدفأ ؟ »

« أبداً ، وحق المسيح ، ، ولكننى بعيد عن مهب الريح ! »

وعندما اقتربت الساعة من الثامنة مساء دخل علينا « ميجور » ومعه أسبانيين من أعضاء الحزب الفاشستى ، وقد أمسك فى يده بقطعة من الورق وسأل الحارس ما هى أسماء هؤلاء الثلاثة ... ؟

وأجاب الحارس ، « شتينبوك . . إبيتا . . ميربال . . ووضع الميجور نظارته الطبية فوق عينيه ثم قال : شتنبوك ، ، شتنبوك . . أوه نعم أنت . . لقد حكم عليك بالإعدام . . وسيطلق عليك الرصاص صباح غد ... » ثم أضاف قائلا وهو ينظر إلينا ...

« وكذلك الأثنان الآخران ! »

وصرخ جوان

— هذامستحيل .... « أنا .. لا »

ونظر إليه الميجور فى دهشة قائلا ..

« ما اسمك ؟ »

أجاب :

« جو بان ميربال »

« حسنا .. إن اسمك مكتوب هنا ؟ لقد صدر الحكم عليك »

وقال جوان ..

— « إننى لم أفعل شيئا »

وهزّ الميجور كتفيه والتفت إلى أنا وتوم

— هل أنتما من (الباسك) ؟ ...

وأجبنا . . .

— «ليس فينا أحد من الباسك »

و بدا عليه الاستياء .. « ولـكنهم ذكروا لى أن هناك ثلاثة من (الباسك) وأننى لن أضيع وقتاً كبيراً فى الجرى وراءهم . . ولهذا فلن تطلبوا قسيساً » .

ولم نرد على تساؤله .

وأضاف هوقائلا : « بعد قليل سيأتى إلى هنا طبيب بلجيكى مكلف بأن يقضى الليل معكم » ..

ثم أدى التحية العسكرية وغادر المكان .

وقال توم . .

«إن ما قلته .. قد حدث فعلا » .

وأجبت أنا قائلا :

— « نعم .. إنها صفقة قذرة للفتى الصغير » .

ولم أكن أحس بالحب تجاه ذلك الصبى ،وإنما قلت ذلك لأكون مهذباً معه فقط . فقد كان وجهه نحيفاً جداً ويبدو عليه الخوف والإجهاد . وقد غيّر التشويه كثيراً من معالمه .

وقبل ذلك بثلاثة أيام .. لم يكن الصبى قد انحدر إلى هذه الحال السيئة وإنما كان وسيما إلى حد كبير . . أما الآن فإنه أشبه

بالجنيات القدامى حتى إنه ليخيل إلى أنه لن يعود مرة أخرى إلى نضارته وشبابه حتى لو أطلقوا سراحه ..

ولم يكن من الصعب أن أظهر بعض الشفقة نحوه .. ولكن الشفقة نفسها كانت شيئا يثير اشمئزازى .. أو يثير فزعى وخوفى بمعنى أصح ، ولم يقل الفتى شيئاً بعد ذلك ولكن لون وجهه صار رمادياً !! وكذلك تحولت يداه إلى نفس اللون ! وجلس، وراح ينظر إلى الأرض بعينين مفتوحتين ...

كان توم طيب القلب فحاول أن يأخذه من يده .. ولكن الفتى شد نفسه بعنف ونظر إلينا . وقلت أنا فى صوت منخفض : « اتركه وحده ، فسينفجر بالبكاء ... »

وسمع توم كلامى فى أسى . . كان يريد تهدئة الفتى . . لم يسبق له أن يفكر فى نفسه . . ولكن ذلك ضايقنى . . لم يسبق لى أن فكرت فى الموت . . لأنه لم يكن هناك مبرر لذلك . . ولكن الآن أصبح السبب موجوداً . . ولم أكن أخاف التفكير فى الموت .

« والآن هل تعتقد أنك بذلك قد انتصرت على الأولاد » . . ولم أجب على هذا السؤال . .

وبدأ هو يشرح لى ذلك . . قال

« ولم يكن قد تحقق من الوضع . . ولم أكن أريد أن أظهر له

محاولتى إخفاء حقيقتى عنه . . فلم أكن أنا نفسى قد تأكدت من حقيقته . . وعجبت هل فى ذلك ما يفيدنا — تذكرت الرصاص . . وتخيلت احتراقه داخل أجسادنا » . . وبعدها توقف توم عن الكلام وراقبته من طرف خفى فرأيته قد صار رمادى اللون كذلك ، وبدا عليه التعطن ، وقلت لنفسى . « الآن تبدأ المشكلة ! »

وكانت الدنيا مظلمة. وضوء خافت يتسلل إلى الداخل من خلال ثقوب الهواء . وكانت كومة الفحم . تبدو أمامنا كبقعة داكنة وسط السماء . . وكنت أرى خلال الثقب نجما ساطعاً . . وكان الليل نقيا . . . رطباً . . . !

فتح الباب ودخل جارسان . . يتبعهما رجل أشقر اللون يرتدى زياً رسمياً وحيانى قائلا . . « أنا الطبيب الذى كلفت بمساعدتكم فى ساعاتكم الأخيرة ، ماذا تريدون هنا . » ، كانت نبرات صوته واضحة . . ومقبولة . . وأضاف قائلا : « أنا هنا فى خدمتكم سأفعل كل ما أستطيعه لكى أجعل لحظاتكم الأخيرة أقل ظلاما وقسوة »!

وسألته . . « ولماذا أتيت إلى هنا . . إن هناك آخرين يملأون المستشفيات . .

وأجابنا بنظرة واضحة . . « لقد أرسلونى إلى هنا . . أوه . . هل تدخنون . . ؟ »

واستدرك في سرعة : «لقد أحضرت معى بعض السجائر والسيجار» وقدم لنا سجائر انجليزية ، ولكننا رفضنا .. ونظرت إلى عينيه وقلت له « هل أنت هنا فى مهمة للرحمة .. ثم إننى أعرفك .. فقد رأيتك مع الفاشيست فى الثكنات فى اليوم الذى ألقى القبض على فيه » .. وكنت أريد أن أستمر ولكن شيئاً غريباً حدث لى .. لم يعد وجود هذا الطبيب يهمنى .. وعادة حينما أكون مع أى شخص فإن دراستى له ومناقشتى معه تستمر وقتاً طويلا .. ولكن رغبتى فى التحدث قد توقفت تماماً وأشحت بوجهى عنه ونظرت إلى الجهة الأخرى .. وبعدها بقليل رفعت رأسى ، وبدا عليه أنه ينظر إلى باهتمام ! وكان الحراس يجلسون على حشية . . الحارس الرفيع الطويل يلعب بأنامله . . والحارس الثانى يهز رأسه من آن لآخر حتى لا يغلبه النعاس ...

— « هل تريد ضوءاً »

قالها بترو . . لجأة للطبيب ، وأجاب الطبيب : « نعم . . . وفيما أعتقد ، كأنه فى حالة استرخاء كامل » .

ولكنه لم يكن سيئاً . . وحينما نظرت إلى عينيه الزرقاوين الباردتين كان يبدولى أن أكبر عيب فيه هو عدم قدرته على التخيل . وخرج بيدرو ثم عاد وهو يحمل مصباح « جاز » حيث وضعه فى ركن

الرف . . وكان ضوءه خافتاً ولكنه أفضل من لا شىء ! لقد تركونا فى ظلام دامس فى الليلة السابقة . وجعلت أحدق النظر طويلا إلى دائرة الضوء التى صنعها المصباح فى سقف الغرفة . . وأعجبنى هذا المنظر وفجأة أفقت من غفوتى . . لقد اختفت الدائرة وشعرت أننى أضيق بثقل رهيب ! لم يكن التفكير فى الموت . . أو الخوف . كان شيئا لا أستطيع تحديده ! كانت جذورى على وشك الاشتعال ، وشعرت بصداع فى رأسى .

وهززت رأسى ونظرت إلى صديقاى . أخفى توم وجهه بين يديه ولم أكن أرى إلا الجزء الأبيض البدين من رقبته ، أما جون الصغير فقد كانت حالته أكثر سوءاً . . كان فمه مفتوحا ، وكانت فتحتا أنفه فى إهتزاز دائم . . فذهب إليه الطبيب ووضع يده فوق كتفه ليهدىء من روعه . . ولكن البرود ظل ظاهراً فى عينيه وفى هذه اللحظة رأيت يد البلجيكى تقترب من ذراع جون وتمسك برسغه . ولم يبد جون أى اهتمام . وأخذ الطبيب رسغه بين أصابعه الثلاثة بالتدريج وقام فى نفس الوقت موجها ظهره ناحيتى . . ولكننى انحنيت للخلف ورأيته يخرج من جيبه ساعة وينظر إليها برهة . . ولم يترك الرسغ طوال هذه المدة . وبعدها ترك يده . . وذهب ليسند ظهره إلى الحائط .

ثم رأيته يخرج نوتة صغيرة من جيبه ليكتب فيها سطوراً قليلة . وفجأة صرخ فى غضب كما لو كان قد تذكر شيئا هاما قد نسيه . .

« يا ستارد . . دعه يقيس نبضى . .

وسأقذف بالحذاء فى وجهه النتن ! »

ولم يأت إلى . . ولكننى شعرت أنه يراقبنى ، ورفعت رأسى واستعدت نظرته .. وقال لى فى برود وهو يبدو أزرق اللون : «ألا تشعر بالبرودة الآن .

أجبته : « إننى لا أحس بالبرد »

ولم يرفع نظراته الحادة عنى . وفجأة فهمت ، ورفعت يدى إلى وجهى . وكنت فى هذا المخزن . . ووسط هذا الشتاء . . وبجوار كل هذه القمامات . . كنت أعرق ! ومررت بيدى على شعر رأسى أشده وفى نفس الوقت أحسست أن قميصى يكاد يلتصق بجسدى . . كانت قطرات العرق تتساقط من جسدى منذ ساعة كاملة دون أن أحس !

ولكن هذه اللفتة من الطبيب لم تغير من الأمر شيئا . لقد رأى القطرات تتساقط على خدى . وبدأ يفكر ! . .

لقد كانت قطعا تعبيراً باثولوجيا عن حالة الرعب التى أعانيها ...

ولكنه كان مستريحا وهادئاً لأنه يحس بالبرد ولهذا فهو يحس بالحياة.

ووددت لو وقفت لأحطم رأسه ولـكننى عندما بدأت أفـكر فى ذلك أحست أن خجلى وغضبى قد زالا تماما وجلست مرة أخرى على الأريكة بلا مبالاة !

وشعرت بالراحة وأنا أمر بالمنديل على عنقى عندما بدأت قطرات العرق تتساقط من شعرى إلى مؤخرة عنقى ، وتوقفت عن مسح العرق، فقد تبين لى أن عملى هذا لا جدوى منه . . فقد ابتل منديلى عن آخره، ورغم ذلك لم ينته عرقى الغزير .

وفجأة تحدث جوان — :« هل أنت طبيب ؟ »

وأجاب البلجيكى : « نعم »

وسأل جوان — « وهل يؤلم الـ . . كثيراً ؟ »

وقال الطبيب: « هه . . ! متى . . لا . . ؟ لا . . مطلقا إن ذلك يتم بسرعة كبيرة »

قال ذلك كما لو كان يهدىء من روع زبون يدفع حسابه عاجلا .

وقال جوان « ولـكن . . إننى . . لقد قال مولى إنهم يضطرون فى بعض الأحيان إلى اطلاق الرصاص مرتين » .

وهز البلجيكى رأسه قائلا : « نعم فى بعض الأحيان فقد لا تصل الرصاصة الأولى إلى العضو الهام من أعضاء الجسم » .

وقال جون : « وعليهم إذن أن يعيدو حشو بنادقهم ويصوّبوا من

جديد . . . إن ذلك يتطلب بعض الوقت ... ! »

كان يبدو عليه خوف مروع من الألم — كان كل ما يفكر فيه هـــو الألم . . وربما كان ذلك بسبب سنه ، أما أنا فلم أفكر أبداً فى الألم ولم يكن هذا هو السبب فى العرق الذى تصبب منى .. !

ونهضت وذهبت ناحية كومة الفحم . . ونهض توم ورمقنى بنظرة كراهية . . كنت قد أثرت استياءه بصوت حذائى وتعجبت هل يبدو الفزع في وجهى كما يبدو فى وجهه ، ورأيت العرق يتصبب منه هو الآخر ، وكانت السماء قد إمتلات سحبا ، لم يدخل أى ضوء إلى الركن المظلم من الغرفة وكان علىّ أن أرفع رأسى لأرى الدب الأكبر . . ولكن يبدو أنه اختفى .. !

لقد كان فى مقدورى فى الليلة الماضية أن أرى جزءاً كبيراً من السماء خلال نافذة زنزانتى وكانت كل ساعة من ساعات النهار تحمل لى ذكرى معينة . . فى الصباح حينما كانت السماء صافية الزرقة . . تذكرت شواطىء الاطلنطى . وعند الظهر حينما كانت الشمس فى عرض السماء ، تذكرت باراً شربت فيه المانزانيلا وأكلت ...

وفى فترة المساء . . حينما كان نصف زنزانتى يغمره الشمس ونصفها ظليل . . كان يخيل إلى أننى أرى الدنيا كلها والعالم جميعاً ...

ولـكننى الآن فى هذه الليلة أرى السماء خالية من كل شىء ! وشعرت براحةٍ لأن السماء لا توحى لى بشىء ! وعدت مرة أخرى وجلست بجوار توم . . ومرت فترة طويلة ! .

وبدأ توم يتحدث فى همس . . كان يجب عليه أن يتحدث لـكى يحس بالوجود ! واعتقدت أنه يوجه إلىّ الحديث . . ولـكن نظراته لم تـكن موجهة نحوى . . لقد كان خائفاً من أن يرانى على حالتى هذه : رمادىّ اللون يتصبب العرق منى ، فلقد كنا متشابهين .. وأسوأ صورة لـكلانا كانت تبدو واضحة فى وجه الآخر ! ونظر إلى البلجيكى ، الحى . ثم قال :

« هل تفهم ؟ . أنا لا أفهم . !! »

وكنت أراقب البلجيكى أثناء التحدث معه فى همس . وسألته . ماذا . ماذا تريد أن تقول ؟

فأجاب . سيحدث لنا شىء ما : لا أستطيع أن أفهمه . »

وإنبعثت رائحة كريهة من ناحية توم ؛ كأن حاسة الشم عندى قد أصبحت غير عادية ؟

فقلت له فى غضب : « ستفهم كل شىء بعد لحظة » .

قال : « إنه شىء غير واضح . إننى أريد أن أكون شجاعا ، ولـكننى

يجب أن أعرف إذا كانوا سيأخذوننا الآن إلى الساحة ..هه ..و يقفون أمامنا . ولكن كم عددهم » ؟ .

أجبته : « إننى لا أعرف » ...

— « ولكنهم لن يكونوا أكثر من خمسة . أو ثمانيه » .

« حسنا . سيكون هناك ثمانية . سأرى ثمانية مسدسات موجهة نحوى ، سأفكر فى الدخول فى الحائط . سأضغط على الحائط بكل جسدى . بكل ذرة فى قوتى ، ولكن الحائط سيبقى كما هو مثلما يحدث فى الكابوس ، إننى أتخيل كل ذلك ، آه لو عرفت مدى قدرتى على تخيل كل ذلك ؟» .

فقلت له « حسنا ، حسنا ، إننى أستطيع أن أتخيل ذلك أيضاً »

— « لا بد أنها كالجحيم ؟ إنك تعرف أنهم يوجهون إلى العيون والفم ليشوهوك ، ثم أضاف بطريقة آلية :

«إننى أشعر بالجروح من الآن ، كأن الألم يؤثر فى رأسى وعنقى طوال الساعة الماضية ، لم يكن ألما حقيقياً ، ومع ذلك فهو أسوأ من الألم الحقيقى ، هذا هو ما سأشعر به صباح الغد ، وماذا بعد ذلك ؟ » .

إننى أفهم ما قاله جيداً ، ولكننى لم أجد فى نفسى رغبة فى النقاش .. إننى أشعر كذلك بآلام ، آلام متفرقة فى كل مكان من جسدى فقد كنت مثله تماما ، لم أعر الآلام إهتماما ...

وقلت له : « و بعد ذلك ستكون كمروج اللؤلؤ » .

وعاد مرة أخرى للحديث مع نفسه ، ولكنه لم يكف طوال ذلك عن مراقبة البلجيكي ، وبدا على البلجيكي أنه لم يسمع حديثه وعرفت ما جاء من أجله ، لم يكن مهتما بما نقول وما نفعل ؟

لقد جاء ليرى أجسادنا ، هذه الأجساد التي ستموت من الرعب قبل أن تفارقها أرواحنا ؟

قال توم ، « إنه أشبه بكابوس — إنك تريد أن تفكر في شيء ما ،وغالباً ما يكون لديك الاحساس بأنك تفهم الأمور القادمة ، وفجأة يختفي من أمامك كل شيء » ...

إنني أقول لنفسي إن شيئاً لن يحدث فيما بعد . . ولكني لا أفهم لذلك أي معنى . . وأعود مرة أخرى لأفكر في الآلام . . والرصاص . . الطلقات . . والمتفجرات . . إنني رجل مادي . . إنني لن أصل إلى درجة الجنون . . ولكن في الأمر شيئاً . . إنني أرى أشلائي .. أراها بعيني . . ولذا كان من الواجب علي أن أفكر . . أفكر في أنني لن أرى أي شيء بعد الآن ! وأن العالم سيدوم بعدذلك للآخرين . . . بابلو إننا لم نصنع لنفكر في ذلك . . صدقني . . لقد .. لقد قضيت ليلا طويلا أنتظر شيئاً . . ولكن الأمر يختلف .. إن ذلك سيزحف علينا . . ولكن من الممكن الإستعداد له . .

وقلت له : «اسكت . . هل تريد منى أن أطلب قسيساً . . » ولم يجب على تساؤلى . . بدا عليه أنه سيتصرف كما لو كان قديساً أو نبياً ويدعونى بابلو . . لم يكن فى صوته أية نغمة . . إننى لا أحب ذلك ، ولكن يبدو أن هذه صفة كل الأيرلنديين . . كان لدىّ شعور واضح بأنه يحاول شم رائحة بول . . وكنت فى بادىء الأمر أشعر بالأسى نحو توم ، ولم أكن أعرف لذلك سبباً . . هل كان ذلك لأننا سنواجه جميعاً مصيراً واحداً ؟ وعلى ذلك يجب أن تتغير معاملتى للآخرين . . لرومان جريس مثلا . . ولكنى شعرت بوحدة وأنا بين توم وجوان وأحببت ذلك كثيراً . . فمع رومان مثلا كان من الممكن أن تتم إثارتى . . ولكننى فضلت أن أكون على ما أنا عليه .

وتأملت زميلى الجالس بجوارى .. كان يمضغ الكلمات بشىء من التقزز .. مما لا شك فيه أنه يفعل ذلك لكى يمنع نفسه عن التفكير .. كانت تنبعث منه رائحة البول كلما لو كانت حالة بروستاتا مزمنة . . واتفقت معه .. فقد كان من السهل أن أوافق على كل ما قاله .. أو حتى أن أردد كل ما قاله . . فليس من الطبيعى أن نموت . وما دام لا مفر من الموت فليس هناك ما هو طبيعى بالنسبة لى ، كومة رماد الفحم هذه . أو هذا المقعد . . ولا حتى وجه بدرو القبيح المنظر .

الشىء الوحيد الذى لا يرضينى هو أن أفكر نفس تفكير توم

وكنت أعلم ذلك . فقد كنت أنظر إليه — طول الليل — من طرف خفى .. وبدا كما لو كان غريباً عنى ..! كان شبح الموت يظهر واضحاً على وجهه ! وجرحت كبرياءه. . فقد ظللت جالساً طوال الأربع والعشرين الساعة الماضية بجوار توم . .استمعت إليه .. وتكلمت معه .. كنت أعرف أن ليس بيننا شىء مشترك .. ورغم ذلك بدونا وكأننا شقيقان توأمان ،والسبب فى ذلك غاية البساطة ، وهو أننا سنموت معاً .. وأخذ هو يدى دون أن ينظر إلى وجهى ..

« بابلو ، إننى ، أتعجب . . أتعجب مما إذا كان كل شىء سينتهى حقيقة ! »

وسحبت يدى منه قائلا : « انظر بين قدميك أيها الخنزير » !

كان بين قدميه براز وبول وقطرات تتساقط من أرجل بنطلونه ..

« ما هذا ؟ ! » — سألنى فى خوف

وأجبته : « إنك تتبول وتتبرز »

فقال فى غضب : « هذا ليس صحيحاً .. إننى لا أتبول .. لا أشعر بأى شىء »!

واقترب البلجيكى منى وسأل فى شفقة خيل إلينا أنها مصطنعة ..

« هل تشعرون بالمرض . . ؟ »

لم يجب توم على التساؤل، ونظر البلجيكى إلى الماء الذى تحته وسكت!

وقال توم فى غضب : « إننى لا أعرف ما هذا ؟ ولكننى لست خائفا ! إننى أقسم لك أننى لست خائفا ! »

ولم يجب البلجيكى . . ! ونهض توم وذهب ليتبول فى ركن من أركان الغرفة . . و بعدها عاد وهو يزرر بنطلونه . . وجلس بجوارنا دون أن ينبس بكلمة واحدة ...

وكنا نحن الثلاثة نراقبه . . لأنه حى ! إن لديه إنفعالات إنسان حى ! وشغف إنسان حى . . وحركات إنسان حى ! إنه يرتعش من البرد كما يرتعش الأحياء ؟

كان له جسد ممتلىء . . بضّ جيد التغذية ، وكنا جميعاً ما عداه لا نحس أن أجسادنا ملك لنا ! أو لم يكن ذلك بنفس طريقته على أية حال . . ونظرت إلى البلجيكى . . إنه يقف باتزان فوق قدميه و يسيطر على عضلاته . . إنه إنسان يفكر فى الغد ، ولكننا كنا ثلاثة أشباح لا دم فيها . و نظرنا إلى حياته وكدنا نمتصها مثلما يفعل « الوطواط » المصـــــــاص !

وأخيراً إتجه إلى جون الصغير . . هل كان يريد أن يضـــع يده

فوق عنقه لأسباب صحية . . أو يتقدم نحوه بدافع الشفقة . . فاذا كانت الشفقة هى التى تحركه فربما كان ذلك للمرة الأولى فى ليلتنا . .

وأخيراً مرّ بيده فوق رأس جـون وعنقه .. وترك الولد نفسه . . ولم تفارق عيناه الطبيب أبداً . وفجأة أمسـك بيد البلجيكى بين يديه . . ونظر إليها . . ولـكنه لم يجد فيهـا شيئاً يسره ، إنها يد حمراء ممتلئة . . وتوقعت ما سوف يحـدث ولا بد أن توم توقعه كذلك . . ولـكن البلجيكى لم يتوقع شيئاً .. فقد كان يبتسم فى بلاهة وفى تصنع .. وبعد لحظة قرّب الولد اليد المكتنزة الحمراء إلى فمه وحاول عـضّها .. وسحبها البلجيكى فى سرعة وتراجع ليستند إلى الحائط .. ونظر إلينا لفترة بسيطة فى رعب ، ويبدو أنه تذكر فجأة أننا لسنا رجالاً مثله ! وبدأت أضحك وقفـز أحد الحراس وكان مستغرقاً فى النوم وعيناه السوداوان مغلقتان تماماً .. وشعرت بالراحة مع زيادة الاضطراب فى نفس الوقت ! وكنت لا أرغب على الاطلاق فيما سيحدث عند الفجر . . عند الموت ! كان هذا شيئاً لا معنى له ... كل ما وجدته هو الـكلمات أو الفراغ . . وحاولت أن أفـكر فى أى شىء .. ولـكن فوهة مسدس وجهت نحوى ؟

لقد فـكرت فى موتى عشرين مرة . . وكنت فى كل مرة

أفكر فى أن نومى لمدة دقيقة واحدة سيكون لصالحى . . جذبونى إلى الحائط وكنت أقاومهم .. كنت أطلب الرحمة ، وتيقظت وأنا أنظر إلى البلجيكى وخشيت أن أكون قد صحت أو علا صوتى فى هذه الأحلام؛ ولكنه كان يرتب شاربه بإصبعه . . وبدا عليه أنه لم يلاحظ شيئاً . . كان من الممكن أن أنام إذا أردت ذلك . . فقد استيقظت طوال الثمانى والأربعين ساعة الماضية . . وكنت فى غاية التعب . .

ولكننى لم أشأ أن أضيع ساعتين من الحياة . . سيأتون ليوقظونى عند الفجر ،وسأتبعهم مثقلا من قلة النوم وأنا أتثاءب . . إننى لا أريد أن أموت كالحيوان ! أريد أن أحس وأن أعى أننى سأموت ! ولكن النوم قد يحمل لى خيالات وأشباح وأوهام وكوابيس ! ونهضت . . وسرت جيئة وذهابا .. واسترجعت الأيام الماضية من حياتى حتى أستطيع تغيير أفكارى ! وتزاحمت الذكريات ! كان بعضها طيباً وبعضها رديئاً ! أو كنت أعتبرها رديئة فيما مضى . . كانت هناك وجوه وأحداث ! رأيت وجه نوفيليرو الصغير الذى جرح فى فالينيا . . ورأيت وجوه أعمامى . . ووجه رومان جريس . . وتذكرت حياتى كلها . . كيف تعطلت لمدة ثلاثة أشهر عام ١٩٢٦ وكيف أفلست وتشردت وقاربت الموت . ثم تذكرت ليلةً قضيتها بالقرب من جيرانادا ولم أكن يومها قد تناولت طعاماً لثلاث ليال ! كنت غاضباً ورفضت أن أموت !

وجعلني ذلك أبتسم . . كيف كنت أجرى بجنون وراء السعادة ! وراء النساء .. وراء الحرية .. لماذا ؟ أردت أن أحرر أسبانيا ؟ ولهذا أعجبت «بالبي مارجال» وانضممت إلى الحركات الثورية وخطبت فى الإجتماعات العامة وكنت أفهم كل شىء وأعرفه كما لو كنت سأعيش خالداً أبد الدهر !

وفى هـذه اللحظة شعرت أن حياتى كلها كانت أمامى وبدأت أفـكر .. « إنها أكذوبة حقيرة .. » إنها ليست أهلا لأى شىء لأنها انتهت ! وعجبت كيف كانت لدىّ القدرة على التنزه والضحك مع الفتيات . . لم أكن لأتحرك إلا كما يتحرك إصبعى الصغير لو تخيلت أننى سأموت على هذه الصورة . .

كانت حياتى كلها أمامى مغلقة كالحقيبة . . ومع ذلك فـكل شىء بداخلها قد انتهى أمره فى لحظة . . وكنت أريد أن أقتنع بأنها حياة جميلة ولـكننى لم أوافق على هـذا الحـكم . . كان مجرد صورة تخطيطية سريعة .. لقد قضيت حياتى أصارع الأبدية .. لم أفهم شيئاً .. لم أنس شيئاً . . كان من الممكن أن أنسى أشياء كثيرة . . لم أنس رائحة المانزيلينا. ولاحمامات الربيع بجوار كاديز، ولـكن الموت شكّل كل شىء ولوّنه .

وفجأة خطرت للبلجيكى فكرة ،فاجئة : «أصدقائى، إننى ـــ بعد أن تسمح لى السلطات العسكرية — سأرسل خطابا من كل منكم هدية لمن يحبونكم ، من تريدون أن أرسل لهم الخطابات »؟ قال توم ؟ ليس عندى أحد ، ولم أقل أنا شيئاً — ثم سكت برهة ثم أردف قائلا باستعجاب؛ «أليس لديك شيء تقوله لكونشا ! »

أجبته قائلا : « لا »

هذا التعقيد الرقيق .. إنها غلطتى ! . أنا الذى تكلمت عن كونشا فى الليله السابقة . . كان يجب أن أتحكم فى كلماتى . . لقد عشت معها عاما كاملا ، وفى الليلة السابقة كنت على استعداد لان أفقد ذراعى ثمناً لرؤيتها مرة أخرى لمدة خمس دقائق ، ولهذا كنت أتحدث عنها ، كانت أقوى منى ، والآن لم تعد لى رغبة فى رؤيتها ، لم يعد لدى أى شيء أقوله لها ، لم تعد عندى رغبة فى ضمها بين ذراعى ، لقد كان جسدى الرمادى يملأنى رعبا ! ولم أكن متأكداً من أن جسدها لن يزيد الرعب فى نفسى ، ستصيح كونشا وتبكى عندما تعلم أننى قد متُ ولن تحس بطعم الحياة لعدة أشهر بعد وفاتى . . ومع ذلك . . فسأموت أنا حتما ! وفكرت فى عينيها الهادئتين الجميلتين . . حينما كانت تنظر إلىّ كنت أحس كأن شيئاً ما ينتقل منها إلى !

ولكننى أعلم الآن جيداً أن نظرتها لن تنقل إلىّ شيئاً ، لن تصل إلىّ لأننى وحدى !

وكان توم وحيداً هو الآخر . . ولكن ليس بنفس طريقتى . . جلس يحملق فى الأريكة بشبه ابتسامة — وساقاه متقاطعتان وقد بدا عليه التعجب ، ثم مدّ يده فى هدوء ليتحسس الخشب كما لو كان يخشى أن يكسر شيئاً ما ؟ وسحب يده مرة أخرى بسرعة . . ولو كنت مكان توم لشغلت نفسى بلمس الخشب . . ولقد كانت هذه هى الأخرى خرافات أيرلندية ؟ ولكننى كذلك وجدت أنّ هذا الاجراء له ناحية مضحكة . . لقد أحسست بأن فيه عمقاً عجيباً . . كان يكفينى أن أنظر إلى الخشب ، وإلى المصباح ، وإلى كومة الفحم ، لكى أحسّ بالموت.. وبالطبع لم يكن فى استطاعتى أن أفكر جيداً فى موتى ، ولكننى أحس به فى كل مكان . . فى كل شىء . . فى الطريقة التى كانت تهوى بها الأشياء وتحافظ على مسافتها . وبالتحديد كنت أحس به كما يحس به أولئك الذين يتكلمون بهدوء بجوار فراش الموت . إن توم حينما أمسك بالخشب فكأنه أمسك بموته ! ولو قيل لى — وأنا بحالتى تلك إنهم قد أطلقوا سراحى .. وتركونى حراً ؛ فإننى سأتقبل هذا النبأ ببرود . .

فانتظار الساعات كانتظار السنين حينما تفقد روعة الخلود وبهجتها

ووهجها ! إننى متعلق بلا شىء . . لقد كنت هادئاً ، ولـكنه هدوء رهيب . . كل ذلك مصدره جسدى . . جسدى الذى أرى بعينيه ، وأسمع بأذنيه ولـكن هذا الجسد لم يعد أنا . . إنه يهتز ويعرق وأنا لا أستطيع أن أتعرف عليه بعد الآن ؟ إننى مضطر للمسه والنظر إليه حتى أعرف ماذا يحدث على وجه التحديد . . كما لو كان جسد إنسان آخر ! فى بعض الأوقات كنت أحس به فقـــد شعرت بالغوص والسقوط كما لو كنت تقود طائرة وأنت مشرف على عمل دوران أو هبوط اضطرارى . . أو شعرت بدقات قلبى . . ولـكن هذا لم يعد الثقة إلى نفسى . وكان كل شىء يخرج منى لا أتحكم فيه . . وكان كل ذلك سهلا فى معظم الأحيان . . فـكل ما أحس به هو نوع من الثقل . . كأن لدىّ شعور بأننى مربوط إلى ديدان كبيرة .

شعرت مرة برطوبة فى بنطلونى ، ولم أعرف ما إذا كان ذلك عرقاً أو بولا ؟ ولـكننى ذهبت لأتبول على كومة الفحم من باب الاحتياط وأخرج البلجيكى ساعته ونظر إليها . . وقال : « الساعة الثالثة والنصف » لا بد أنه فعل ذلك متعمداً . . وقفز توم من مكانه . . إننا لم نلاحظ أن الوقت يمر بسرعة . . كان الليل يحيطنا بـكتلة سوداء داكنة لا ظل لها . . ولم أستطع حتى أن أتذكر أن الليل قد بدأ . . وبدأ جون الصغير بكى ، وأمسك رأسه بيده قائلا : « لا أريد أن أموت . .

لا أريد أن أموت » . . ثم أخذ يجرى فى الردهة ملوحاً بذراعيه فى الهواء . . وراقبه توم دون رغبة فى نصحه لأن المسألة لا تستحق . . كان الولد يحدث ضجة أكثر مما نحدث نحن . وكان بالنسبة لنا . . كالرجل المريض الذى يقاوم مرضه ويدافع عنه بالحمى ؛ قد تكون المأساة أقل وطأة بلا حمى ! وبكى ! وكنت أراه مشفقا على نفسه ، لم يكن يفكر فى الموت . . وللحظة واحدة . . لحظة واحدة فقط ، أردت أن أبكى . . أبكى شفقة على نفسى ، ورأيت ذراعيه تهتزان ، ونظرت ملياً إلى الفتى . وشعرت بشىء بعيد عن الإنسانية تماما . . إننى لم أكن أحس بالشفقة على نفسى أو على الآخرين .

قلت لنفسى « إننى أريد أن أموت بنظافة »

وجلس توم بجوار فتحة . . ينتظر بزوغ النهار . . ولكننى كنت مصراً على الموت بنظافة ، ولم أكن أفكر فى شىء سوى ذلك . ولكننى حينما حدد لنا الطبيب الموعد شعرت أن الوقت يتطاير ؛ يتطاير نقطة بعد نقطة .

وكان الظلام مازال مخيما مظلمة حينما سمعت صوت توم هاتفاً « هل تسمع أصواتهم » . . كان الرجال يسيرون فى الممر .

— « نعم »

« ماذا يفعلون وأىّ نوع من الجحيم يعدّون .. إنهم لا يستطيعون التصويب فى الظلام ». و بعد قليل لم نسمع شيئاً ، وقلت لتوم — « لقد جاء النهار ونهض بدرو متثائباً . وجاء ليطفىء المصباح .. وقال وهو يسير « بارد كالجحيم » .. وكان المخزن كله رمادى اللون .
وعندما سمعنا صوت طلقات بعيدة قلت لتوم .

« لقد بدأوا ، لابد أنهم يفعلون ذلك فى الصالة التى خلفنا» ..

وطلب توم من الطبيب سيجارة .. أما أنا فلم تكن بى رغبة فى سجائر .. ولا خمر ، ومنذ تلك اللحظة لم يتوقفوا عن إطلاق النار ووجه توم الحديث إلى قائلا : « تعرف ماذا يحدث ! »

وأراد أن يضيف شيئاً .. ولكنه صمت ونظر إلى الباب الذى فتح ، ودخل منه ملازم ومعه أربعة جنود ، وسقطت سيجارة توم.

— « شتينبك »

ولم يرد توم .. وأشار عليه بدورو بالخروج ..

— « جون ميربال»

— « فوق البساط »

قال الملازم : « إنهض»

ولم يتحرك جون فتقدم منه اثنان من الجنود وأمسكاه من تحت

ذراعيه،وأوقفاه على قدميه ،ولـكنه تهاوى وسقط على الفور عندما تركاه.

وتردد الجنديان . . فقال الملازم : « إنه ليس أول من يمرض ، إحملاه سوياً . . سيحددون المكان أسفل .. هناك ! »

وتوجه إلى توم .. قائلا .. «هيا بنا » .. وذهب توم بين الجنديين وتبعه جنديان آخران يحملان الولدين بين أيديهما ...

لم يكن قد أغمى عليه ، فقد كانت عيناه مفتوحتان والدموع تنهمر على خديه ، وحينما أردت الخروج منعنى الملازم من الخروج قائلا : « أنت إبييتا »

— « نعم »

— « فلتنتظر هنا ، سيأتون إليك فيما بعد ».. و بقيت وحيداً بعد أن تركونى وتركنى البلجيكى والسجانان ، ولم أكن أعرف ماذا يحدث ، وكنت سأفهم ذلك لو سار كل شىء على ما رسموه ، كنت أسمع الطلقات على فترات متقطعة ذات مسافات منتظمة ...

وأردت أن أصيح ، وأشد شعرى ولـكننى ضغطت على أسنانى ، ووضعت يدى فى جيبى لأننى أردت أن أموت نظيفا !

و بعد ساعة جاءوا ليصحبونى إلى حجرة صغيرة — فى الطابق الأول — حرارتها مرتفعة و بها رائحة سيجار ، لقد كان هناك ضابطان يجلسان فى مقعديهما الوثيرين يدخنان السيجار . . وعلى أفخاذهما أوراق

— « هل أنت إبيبتا ؟ »

— « نعم »

— « أين رومان جريس ؟ »

— « لا أعلم »

وكان الضابط الذى يسألنى قصيراً ضخم الجثة ، ذو عينين قاسيتين وراء نظارته .

قال لى : « إقترب »

واقتربت منه فنهض وأخذ يمعن النظر فىّ وهو يمسك بيدى .. وكانت نظرته كأنما تدفعنى إلى الأرض .. وفى نفس الوقت ضغط على كتفى بكل قوته .. ولم يكن الهدف من ذلك إيذائى ولكنها كانت لعبة أراد بها أن يخضعنى له .. وعندما اقترب منى والتصقت أنفاسنا بدا علىّ أننى أريد أن أضحك .. فمن السهل أن تخضع لك شخصاً سيموت ، إن هذا لن يجدى .. ودفعنى إلى الخلف مرة أخرى بغضب .. وقال : « إنها حياته مقابل حياتك ! وتستطيع أن تعيش إذا ذكرت لنا مكانه ... »

إنهم يضيعون أوقاتهم بحثا عن أسماء فى أوراق أمامهم ، إنهم يبحثون عن أناس آخرين ليسجنوهم ... أو يضطهدونهم ...

إن لهم أفكاراً خاصة عن مستقبل أسبانيا وعن أشياء أخرى كثيرة . . إن نشاطهم الضيق جعلنى فى حـــــيرة . . لا أستطيع أن أضع نفسى مكانهم . . إنهم غير عاقلين . . كان الرجل الصغير مازال ينظر إلىّ وكل حركاته توحى إلىّ أنه حيوان ضار مفترس يحس بالحياة ...

— « إذن . . فأنت تفهم ! »

وأجبته قائلا : « أنا لا أعرف أين رومان جريس .. فقد كنت أعتقد أنه فى مدريد ..! »

ورفع الضابط الآخر يده الشاحبة بحركة عمل لها حساباً دقيقاً . . وعجبت لما يفعلونه ، عجبت من هؤلاء الذين لم يجـدوا تسلية سوى هذه !

قال بيطء : « أمامك ربع ساعة لـكى تفـكر . . . خذه إلى المغسلة . . وأحضره مرة أخرى بعد ١٥ دقيقة وإذا رفض الـكلام فسيقتل فى نفس المـكان . . »

كانوا يعرفون ما يفعلونه . . وكنت قد قضيت الليل بأكمله منتظراً . . ثم تركونى فى المغسلة بعد ذلك . . لا بد أنهم نظموا لعبتهم فى الليلة السابقة . . أرادوا أن يحطموا أعصابى ، وبعدها أتـكلم ، ولقد أخطأوا خطأ كبيراً ..

جلست فى المغسلة على كرسى صغير أفكر — إذ كنت مجهداً ولم يكن هدفهم هو محور تفكيرى . . كنت على علم بمكان جريس . . فقد كان مع ابن عمه مختبئاً على بعد أربعة كيلو مترات من المدينة . . وكنت أعلم جيداً أننى لن أذكر مخبأه إلا إذا عذبونى ، ولكننى أعتقد أنهم لا يفكرون فى تعذيبى ، ومع أن كل ذلك قد نظّم تنظيما جيداً إلا أننى لم أكن مهتما بشىء . . إن الموت أفضل لى من ذكر مكان جريس . . لماذا ؟ ! إننى لم أعد أحب رومان جريس . . لقد ماتت صداقتى له قبل الفجر بقليل . . فى نفس الوقت الذى مات فيه حبى لكونشا وماتت فيه رغبتى فى الحياة !

لم يكن إعجابى به ناشئا عن قسوته وعناده . . فقد كانت حياته بلا قيمة كحياتى . . كنت أعلم أنهم سيدفعون شخصا إلى الحائط ويطلقون عليه النار حتى يموت . . سواء كان هذا الشخص هو أنا أو جريس . أو أى شخص آخر ، كل هذا لا يفرق عندهم . . ولكننى أعلم أنه أكثر نفعا لأسبانيا منى ، ولكن لتذهب أسبانيا إلى الجحيم ، فلم يعد أى شىء مهما بالنسبة لى ، لقد كنت هناك ، وكنت أستطيع أن أنقذ نفسى وأتخلى عن جريس ، ولكننى رفضت ذلك وقررت أن أكون عنيداً . . !

حضروا ليأخذونى مرة أخرى إلى الضابطين ، وسررت حينما شاهدت فأراً مسرعاً من بين قدمى ، ونظرت إلى أحد الفالانجستاس وقلت (هل رأيت الفأر ؟)

ولم يجب على سؤالى . . لقد كان جاداً . . وودت لوضحكت ولكننى أمسكت نفسى إذ أحسست بأننى لو بدأت فى ذلك فلن أتوقف ، كان للرجل شارب ...

قلت : « أيها الأحمق يجب أن تحلق شاربك ! »

فرفسنى بقسوة . . وسكت !

قال الضابط الغليظ : « حسنا . . هل فكرت جيداً ؟ » ونظرت إليه بشىء من الدهشة كما لو كان جسده من نوع نادر ، وقلت لهم : «إننى أعرف مكانه .. إنه يختبىء فى مقبرة متهدمة بين المقابر » لقد كنت أريد أن أراهم يشدون أحزمتهم ويصدرون أوامرهم ، وقفزوا فعلا : « إنهض ياموليز ، وأحضر خمسة عشر جنـــدياً من كتيبة الملازم لوبيز »

ثم التفت الرجل البدين إلى قائلا : « سأتركك حراً إذا كنت تقول الحقيقة ، ولـكنك ستندم كثيراً إذا كنت تهزأ بنا »!..

ووقفت فى هدوء فى حراسة أحد الفالانجستاس بعد انتهاء الضجة